المَشْرِق

السَّنَةُ الرَّابِعَةُ وَالسِّتُّونَ   تَمُوز – تِشْرِينُ الْأَوَّلِ ١٩٧٠

وَقَائِعُ الشَّيْخِ رُوزَبِهَانَ الْبَقْلِيِّ الشِّيرَازِيِّ

مُقْتَطَفَاتٌ مِنْ كِتَابِ

كَشْفُ الْأَسْرَارِ وَمُكَاشَفَاتُ الْأَنْوَارِ

نَشَرَهَا مَعَ مُقَدِّمَةٍ
الْأَبِ بُولُسَ نُوَيَا الْيَسُوعِيِّ

الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ رُوزَبِهَانَ الْبَقْلِيُّ الشِّيرَازِيُّ مِنْ أَقْطَابِ التَّصَوُّفِ فِي إِيرَانَ وَمِنْ أَشْهَرِ الَّذِينَ كَتَبُوا فِي الْعِشْقِ الْإِلَهِيِّ وَأَتْمَتِهِمْ فِكْرَةً وَتَجْرِبَةً. غَيْرَ أَنَّ اسْمَهُ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ مَجْهُولاً فِي الْأَوْسَاطِ الصُّوفِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا يُعْطَى لَهُ أَيُّ أَهَمِّيَّةٍ فِي الْكُتُبِ الْمُؤَرِّخَةِ عَنِ التَّصَوُّفِ فِي تِلْكَ الْأَوْسَاطِ، رَغْمَ أَنَّ رُوزَبِهَانَ سُنِّيٌّ شَافِعِيُّ الْمَذْهَبِ وَرَغْمَ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الرُّوزَبِهَانِيَّةَ قَدِ انْتَشَرَتْ

حَتَّى أَفْرِيقِيَّةَ، كَمَـا يُشِـيرُ إِلَى ذَلِـكَ الْعَـالِمُ مَاسِـينْيُون فِي مَقَالَـةٍ خَصَّصَـــهَا لِلتَّعْرِيفِ بِشَخْصِيَّةِ رُوزَبِهَانَ وَمُؤَلَّفَاتِهِ: كَانَتْ فَاتِحَـةَ الدِّرَاسَـاتِ عَنْ شَيْخِنَا

١ – لَا تَعْلَمُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ عَنْ وَقَائِعِ حَيَاتِهِ الْخَارِجِيَّةِ وَهِيَ تَخْتَصِرُ فِي بِضْعَةِ أَسْطُرٍ: وُلِدَ الشَّيْخُ رُوزَبِهَانَ فِي مَدِينَةِ فَسَا مِنْ أَعْمَالِ فَارِسَ سَنَةَ ٥٢٢ / ١١٢٨. فِي عَائِلَةٍ يَظْهَرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا لَا عِلْمٌ وَلَا تَقْوَى، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ هُوَ نَفْسُهُ بِكَلِمَاتٍ قَاسِيَةٍ. غَيْرَ أَنَّ الْأَلْطَافَ الْإِلَهِيَّةَ بَدَأَتْ تُثِيرُ فِي نَفْسِهِ الْقَلَقَ الرُّوحِيَّ مُنْذُ صِغَرِهِ. فَهُوَ يَذْكُرُ أَنَّهُ شَعَرَ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَعُمْرُهُ ثَلَاثُ سِنِينَ. أَمَّا الصَّدْمَةُ الْكُبْرَى فَقَدْ تَنَاوَبَتْهُ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ إِذْ خَبَرَ لَهُ، فِي عَشَاءِ يَوْمٍ: شَيْخٌ مَهِيبٌ: بِزِيِّ الصُّوفِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْخِضْرُ نَفْسَهُ. فَكَانَ ذَلِكَ الْحَادِثُ حَاسِمًا فِي حَيَاتِهِ. تَرَكَ رُوزَبِهَانُ كُلَّ شَيْءٍ – وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا حَانُوتٌ يَبِيعُ فِيهِ الْبُقُولَ لِذَا دُعِيَ بِالْبَقْلِيِّ – مَضَى إِلَى الصَّحْرَاءِ، وَانْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ: فَقَضَى فِي الْخَلْوَةِ سَنَةً وَنِصْفَ سَنَةٍ مَارَسَ فِيهَا الْمُجَاهَدَاتِ وَالرِّيَاضَاتِ الصُّوفِيَّةَ وَهُوَ يَعِيشُ فِي وَحْيَانٍ بَاطِنِيٍّ شَدِيدٍ. ثُمَّ هَدَأَتْ حَالَتُهُ فَعَادَ إِلَى شِيرَازَ حَيْثُ أَخَذَ يَدْرُسُ الْقُرْآنَ وَعُلُومَ الظَّاهِرِ وَيَخْتَلِفُ إِلَى حَلَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ لِيَتَمَعَّنَ فِي عُلُومِهِمْ وَرِيَاضَاتِهِمْ.

وَقَدْ أَخَذَ عُلُومَ الظَّاهِرِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ عَنْ الشَّيْخِ أَرْشَدِ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ النَّيرِيزِيِّ وَعَنِ الْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ مَرْيَمَ. أَمَّا شُيُوخُهُ فِي التَّصَوُّفِ، فَأَهَمُّهُمْ جَمَالُ الدِّينِ ابْنُ خَلِيلٍ الْفَسَوِيُّ. وَقَدْ أَخَذَ عَنْهُ فِي فَسَا.. ثُمَّ الشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ خَلِيفَةَ (٥٦٢/١١٦٦) وَهَنَاكَ شَيْخٌ كُرْدِيٌّ اسْمُهُ جَاكِيرُ تَقَّى رُوزَبِهَانَ فِي الْعِرَاقِ قُرْبَ

السَّامِرَّاءِ
وَتَأَثَّرَ مِنْهُ تَأَثُّرًا عَمِيقًا. وَلَعَلَّ رُوزَبِهَانَ مَرَّ بِالْعِرَاقِ عَنْ طَرِيقِهِ إِلَى الْحَجِّ.
غَيْرَ أَنَّ مَعْلُومَاتِنَا عَنْ أَسْفَارِهِ قَلِيلَةٌ جِدًّا. وَلَوْلَا الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ ابْنُ عَرَبِيِّ لَمَا عَرَفْنَا زِيَارَتَهُ مَكَّةَ. فَإِنَّ صَاحِبَ « الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةَ »[1] يَذْكُرُ عَنِ الشَّيْخِ
رُوزَبِهَانَ قِصَّةً طَرِيفَةً حَدَثَتْ لَهُ فِي مَكَّةَ: نُورِدُهَا هُنَا لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَعَانِي
الَّتِي تَتَجَلَّى فِيهَا شَخْصِيَّةُ صُوفِيِّنَا بِمُقَوِّمَاتِهَا الْإِنْسَانِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ : « حُكِيَ عَنْ
الشَّيْخِ رُوزَبِهَانَ أَنَّهُ كَانَ قَدِ ابْتُلِيَ بِحُبِّ امْرَأَةٍ مُغَنِّيَةٍ وَهَامَ فِيهَا وُجْدًا. وَكَانَ كَثِيرَ الزَّعَاقَاتِ فِي حَالِ وُجْدِهِ فِي اللهِ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ يُشَوِّشُ عَلَى الطَّائِفِينَ
بِالْبَيْتِ فِي زَمَنِ مُجَاوَرَتِهِ: فَكَانَ يَطُوفُ عَلَى سُطُوحِ الْحَرَمِ. وَكَانَ صَادِقَ
الْحَالِ، وَلَمَّا ابْتُلِيَ بِحُبِّ هَذِهِ الْمُغَنِّيَةِ. لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ، وَانْتَقَلَ حُكْمُ ذَلِكَ
الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ بِاللهِ إِلَيْهَا. وَعَلِمَ أَنَّ النَّاسَ يَتَخَيَّلُونَ فِيهِ أَنَّ ذَلِكَ الْوُجْدَ بِاللهِ
عَلَى أَصْلِهِ. فَجَاءَ إِلَى الصُّوفِيَّةِ وَخَلَعَ الْخِرْقَةَ وَرَمَى بِهَا إِلَيْهِمْ وَذَكَرَ لِلنَّاسِ

[1] (١) الْجُزْءُ الثَّانِي، ص: ١٣٥ مِنْ مَطْبَعَةِ صَادِرَ

قِصَّتُهُ وَقَالَ: لَا أُرِيدُ أَكْذِبَ فِي حَالِي. وَلَزِمَ خِدْمَةَ الْمُغَنِّيَةِ. فَأَخْبَرَتِ الْمَرْأَةُ بِحَالِهِ وَمَجْدِهِ بِهَا وَأَنَّهُ مِنْ أَكَابِرِ أَهْلِ اللهِ، فَاسْتَحْيَتِ الْمَرْأَةُ وَتَابَتْ إِلَى اللهِ مِمَّا كَانَتْ فِيهِ بِبَرَكَةِ صِدْقِهِ وَلَزِمَتْ خِدْمَتَهُ. وَأَزَالَ اللهُ ذَلِكَ التَّعَلُّقَ بِهَا مِنْ قَلْبِهِ. فَرَجَعَ إِلَى الصُّوفِيَّةِ وَلَبِسَ خِرْقَتَهُ وَلَمْ يَرَ أَنْ يَكْذِبَ مَعَ اللهِ فِي حَالِهِ » .

وَقَدْ عَادَ رُوزَبِهَانُ إِلَى شِيرَازَ وَتُوُفِّيَ فِيهَا سَنَةَ ٦٠٦/١٢٠٩ وَهَنَاكَ قَبْرُهُ. وَكَانَ لَهُ فِي شِيرَازَ مَجَالِسُ صُوفِيَّةٍ يَحْضُرُهَا الْأَكَابِرُ مِنَ الشُّيُوخِ وَمُرِيدِينَ كَثِيرُونَ، وَالْجَمِيعُ يَعْتَرِفُونَ لَهُ بِالتَّفَوُّقِ فِي كَافَّةِ الْعُلُومِ: الشَّرْعِيَّةِ وَالصُّوفِيَّةِ.

٢ - هَذَا بِمَا يَخُصُّ وَقَائِعَ حَيَاتِهِ الْخَارِجِيَّةَ: أَمَّا وَقَائِعُ حَيَاتِهِ الْبَاطِنِيَّةَ: فَهِيَ الَّتِي أَثْبَتَ ذِكْرَهَا فِي كِتَابٍ سَمَّاهُ "كَشْفُ الْأَسْرَارِ وَمُكَاشَفَاتُ الْأَنْوَارِ". مُجِيبًا لِأَحَدِ أَصْدِقَائِهِ وَقَدْ سَأَلَهُ أَنْ يَذْكُرَ لَهُ شَيْئًا عَنْ مَكَاشَفَاتِهِ السَّرِّيَّةِ. وَفِي النَّصِّ الَّذِي تُنْشِرُهُ الْيَوْمَ مُنْتَقَطَاتٌ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، اكْتُشِفَ عَلَيْهَا فِي مَجْمُوعَةٍ عِنْدَ أَحَدِ أَصْدِقَائِنَا فِي بَغْدَادَ. نَاخُهَا دَرْوِيشُ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلْوَتِيُّ، فِي سَنَةِ ١١٢٦ هـ. وَيَتْبَعُ اسْمَ النَّاسِخِ اسْمٌ آخَرُ لَعَلَّهُ صَاحِبُ هَذِهِ الْمُقْتَطَفَاتِ وَهُوَ الشَّيْخُ شَعْبَانُ الْقِسْطَمُونِيُّ. مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الْمَخْطُوطِ تُرْكِيٌّ.

وَالْكِتَابُ أَوْسَعُ بِكَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمُقْتَطَفَاتِ الَّتِي لَا تَزِيدُ عَلَى رُبْعِ الْكِتَابِ - كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْأُسْتَاذُ هِنْرِي كُورَبِينِ الَّذِي يَعْمَلُ مُنْذُ سَنِينَ فِي إِخْرَاجِ طَبْعَةٍ عِلْمِيَّةٍ لِكِتَابِ « كَشْفُ الْأَسْرَارِ » . وَقَدْ كُنَّا قَدْ أَرْسَلْنَا لِلْأُسْتَاذِ كُورَبِينِ نُسْخَةً صُورِيَّةً مِنَ الْمَخْطُوطَةِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَهَمَّةَ

إِخْــــــــــــــــــــــــرَاجِ هَــــــــــــــــــــــــــذَا الْكِتَابِ سَـتَتَطَلَّبُ مَزِيـدًا مِنَ الْـوَقْتِ لِـرَدَاءَةِ الْمَخْطُوطَـاتِ وَالصُّـعُوبَةِ الْمَــــــــــــــــــــــادَّةِ وَأَهَمِّيَّتِهَــــــــــــــــــــــا:
فَالْكِتَابُ فَنٌّ مِنْ نَوْعِهِ لَيْسَ فِي الْفَنِّ التَّصَوُّفِيِّ الْإِسْلَامِيِّ فَحَسْبُ، بَـلْ وَفِي
الْأَدَبِ الصُّوفِيِّ الْعَـالَمِيِّ. رُوزَبِهَـانُ « غَـوْثُ الْعَاشِـقِينَ » ، وَهُـوَ شَـيْخُ شُــــــــــــــــــــــــــــــــــــطَّاحٍ، لِأَنَّ
تَصَوُّفَهُ مُؤَسَّسٌ عَلَى عِشْـقِ الْجَمَـالِ الْإِلَهِيِّ الْمُتَجَلِّي مِنْ خِلَالِ جَمَـالِ كُــلِّ
الْمَخْلُوقَاتِ وَلِأَنَّ عَالَمَهُ الْبَاطِنِيَّ، عَالَمُ الْوَجْدِ وَالْمَكَاشَفَاتِ. فَهُوَ يَعِيشُ بِالْبَدَاهَةِ، فِي عَالَمِ الْغَيْبِ وَيَرَى اللهَ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ. كَمَـا نَحْنُ نَـرَى عَـالَمَ الشَّـهَادَةِ. وَلَا نَعْـرِفُ صُـوفِيًّا آخَـرَ لَـهُ مَقْدِرَتُـهُ عَلَى « التَّغْيِيبِ » عَنِ الْعَــــــــــــــــــــالَمِ الْمَحْسُــــــــــــــــــــــــوسِ وَالدُّخُولِ إِلَى حَضْرَةِ اللهِ.

٣ وَنَظَرًا لِلدِّرَاسَةِ الَّتِي يُعِدُّهَا الْأُسْـتَاذُ كُـورَبِينِ بِخُصُـوصِ كِتَــابِ : كَشْـفُ الْأَسْـرَارِ، فَنَحْنُ سَـنَكْتَفِي هُنَـا بِسَـرْدِ عَنَـاوِينَ أَهَمِّ مُؤَلَّفَـاتِ رُوزَبِهَــانَ لِيَتَعَرَّفَ إِلَيْهِ الْقَارِئُ الْعَرَبِيُّ

ا – عَرَائِسُ الْبَيَانِ فِي حَقَائِقِ الْقُرْآنِ – تَفْسِيرٌ صُوفِيٌّ ضَخْمٌ قَدْ طُبِعَ مِرَارًا فِي هُنْدَ. أُدْمِجَ فِيهِ الْمُؤَلِّفُ الْقِسْمَ الْكَبِيرَ مِنْ "حَقَائِقِ التَّفْسِيرِ" لِلسُّلَمِيِّ وَلَطَائِفِ الْإِشَارَاتِ، لِلتُّسْتَرِيِّ.

ب – كِتَابُ مَنْطِقِ الْأَسْرَارِ بِبَيَانِ الْأَنْوَارِ – فِيهِ يُشَرِّحُ شَطَحَاتِ الصُّوفِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ وَمُصْطَلَحَاتِهِمْ وَيَأْتِي بِشَرْحٍ لِكِتَابِ "الطَّوَاسِينِ" لِلْحَلَّاجِ. غَيْرُ مَطْبُوعٍ.

ج – شَرْحُ الشَّطَحِيَّاتِ – أَرَادَهُ الْمُؤَلِّفُ تَرْجَمَةً فَارِسِيَّةً لِكِتَابِ "مَنْطِقِ الْأَسْرَارِ". لَكِنِ الزِّيَادَاتِ الْكَثِيرَةَ الَّتِي أَضَافَهَا إِلَيْهِ جَعَلَتْهُ كِتَابًا جَدِيدًا قَائِمًا بِذَاتِهِ. طَبَعَهُ الْأُسْتَاذُ كُورَبِينِ فِي سِلْسِلَةِ الْمَكْتَبَةِ الْإِيرَانِيَّةِ، سَنَةَ ١٩٦٦: رَقَمُ ١٢.

د – كِتَابُ كَشْفِ الْأَسْرَارِ وَمُكَاشَفَاتِ الْأَنْوَارِ – وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي تَنْشُرُ مِنْهُ مُنْتَقَطَاتٍ.

هـ – كِتَابُ عَبْهَرِ الْعَاشِقِينَ – دِرَاسَةٌ غَنِيَّةٌ وَعَمِيقَةٌ عَنِ الْعِشْقِ الْإِلَهِيِّ وَعلاقَتِهِ بِالْعِشْقِ الْإِنْسَانِيِّ أَوْ عَنِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْعِشْقِ الْمَجَازِيِّ وَالْعِشْقِ الْحَقِيقِيِّ – وَهُوَ بِالْفَارِسِيَّةِ وَقَدْ طَبَعَهُ الْأُسْتَاذُ كُورَبِينِ فِي سِلْسِلَةِ الْمَكْتَبَةِ الْإِيرَانِيَّةِ سَنَةَ ١٩٥٨: رَقَمُ ٨.

و – كِتَابُ شَرْحِ الْحُجُبِ وَالْأَسْتَارِ فِي مَقَامَاتِ أَهْلِ الْأَنْوَارِ وَالْأَسْرَارِ وَيُدْعَى أَيْضًا "كِتَابُ الْأَغْنِيَةِ". فِيهِ يُشَرِّحُ الْمُؤَلِّفُ طَبِيعَةَ السُّلُوكِ إِلَى اللهِ وَالْحُجُبِ الَّتِي يُلَاقِيهَا السَّالِكُ فِي طَرِيقِهِ إِذْ هُوَ لِكُلِّ عَارِفٍ حِجَابٌ فِي كُلِّ مَقَامٍ. غَيْرُ مَطْبُوعٍ.

ز – كِتَابُ سَيْرِ الْأَرْوَاحِ – وَيُـدْعَى أَيْضًـا « الْمِصْـبَاحُ فِي مَكَاشَـفَةِ بَعْثِ الْأَرْوَاحِ » . يَتَطَـرَّقُ فِيـهِ الْمُؤَلِّفُ إِلَى مَسْـأَلَةِ سَـبْقِ الْأَرْوَاحِ فِي الْوُجُـــــــــــــــــــــــــــــــــــــودِ الْأَزَلِيِّ وَهَبُوطِهَا إِلَى الْأَجْسَـامِ وَخَلْـقِ الْإِنْسَـانِ عَلَى صُـورَةِ اللـهِ. غَيْـرُ مَطْبُـــــــــــــــــــــــــــــــــــــوعٍ.

[١٧١ أ] هَذَا الْكِتَابُ مِنْ وَقَائِعِ سُلْطَانِ الْعَارِفِينَ
وَغَوْثِ الْعَاشِقِينَ وَبُرْهَانِ الْمُحَقِّقِينَ وَصَاحِبِ
تَفْسِيرِ الْعَرَائِسِ وَشَرْحِ شَطَحِيَّاتٍ وَكِتَابِ الْأَنْوَارِ:
فِي شَرْحِ الْأَسْرَارِ : الشَّيْخُ رُوزَبِهَانُ بَقْلِيُّ
الْمَعْرُوفُ
أَبُو مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي النَّصْرِ الْبَقْلِيِّ النَّسَوِيِّ،
قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى رُوحَهُ وَرَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ [2]

[١٨١ ب] بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ.

هَذِهِ وَقَائِعُ الشَّيْخِ الْعَارِفِ الْعَاشِقِ أَبِي مُحَمَّدٍ رُوزَبِهَانَ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى رِيحَهُ الْعَزِيزَ وَرَضِيَ عَنْهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعَارِفُ الْعَاشِقُ الْوَاصِلُ رُوزَبِهَانُ بْنُ أَبِي النَّصْرِ الْبَقْلِيُّ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى رُوحَهُ الْعَزِيزَ:

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَرَّفَ نَفْسَهُ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْأَوْلِيَاءَ بِخَصَائِصِ آيَاتِهِ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى. فَعَرَفُوهُ بِالْآيَاتِ فِي الْبَدَايَاتِ، وَأَحَبُّوهُ مِنْ حَيْثُ الْآلَاءِ وَالنِّعْمَاءِ. ثُمَّ لَمْ يَقْنَعْ بِمَا آتَاهُمْ، لِأَنَّهُ سَبَبُ أَحْكَامِ الْعُبُودِيَّةِ. فَأَبْرَزَهُمْ أَنْوَارَ حَضْرَتِهِ وَكَحَّلَ عُيُونَهُمْ بِكُحْلِ الْجَبَرُوتِ وَأَرَاهُمْ شُعَاعَ شُمُوسِ عَالَمِ مَلَكُوتِهِ: وَأَحَبُّوهُ بِالْمَحَبَّةِ الْخَاصَّةِ – وَلَكِنْ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ حُبُّ بِدَايَةِ النِّهَايَةِ – ثُمَّ كَشَفَ لَهُمْ سُبُحَاتِ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ بِوَصْفِ تَجَلِّي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، فَعَرَفُوهُ بِهِ وَأَحَبُّوهُ بِالْمَحَبَّةِ الْكُبْرَى – وَآخِرٌ لَا يَتَغَيَّرُ بِتَغَيُّرِ الْحَدَثَانِ وَلَا يَنْزُولُ الْبَلِيَّةَ وَالِامْتِحَانَ – فَشَاهَدُوهُ مُشَاهَدَةَ الْحَقِيقَةِ بِلَا حِجَابٍ. ثُمَّ

---

[2] (٢) بِالْخَامِشِ: وَمَاتَ رُوزَبِهَانُ بَقْلِيٌّ قَدَّسَ سِرَّهُ فِي أَوَاسِطِ مُحَرَّمِ الْحَرَامِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّمِائَةٍ، (١٢٠٩ م)

خَاطَبَهُمْ وَكَلَّمَهُمْ بِغَرَائِبِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ، وَعَلَّمَهُمْ عَظَائِمَ أَسْمَائِهِ وَشَرَّفَهُمْ لَطَائِفَ نَعُوتِهِ وَأَوْصَافِهِ وَأَنْشَقَهُمْ نَسَائِمَ نَفَحَاتِ وَرْدِ الْمَدَانَاتِ [١٧٢ أ] وَرَيَاحِينِ الْقُرُبَاتِ وَالْوِصْلَاتِ، ثُمَّ بَسَطَ إِلَيْهِمْ بِكَرِيمِ مُنَاجَاتِهِ وَكَشَفَ أَسْرَارَهُ وَآنَسَهُمْ جَمَّ اللهُ وَجَعَلَهُمْ بِهِ عَاشِقِينَ جِلَالَهُ. فَبِتِلْكَ الدَّرَجَاتِ حَلُّوا مَا حَمَلُوا مِنْ أَثْقَالِ الْبَلِيَّاتِ مِنَ الرِّيَاضَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ، وَصَارُوا عَرَائِسَ حَضْرَتِهِ وَأُمَرَاءَ مَلِكِهِ مَمْلَكُوتِهِ. فَبَعْضُهُمْ أَهْلُ الْإِرَادَاتِ وَبَعْضُهُمْ أَهْلُ الْوِلَايَاتِ وَبَعْضُهُمْ أَهْلُ الْآيَاتِ وَبَعْضُهُمْ أَهْلُ الْخِطَابَاتِ وَالْمُشَاوَرَاتِ وَالْمُنَاجَاتِ وَبَعْضُهُمْ أَهْلُ الْمَكَاشَفَاتِ وَبَعْضُهُمْ أَهْلُ الْمُشَاهَدَاتِ وَالْمُحَاضَرَاتِ وَبَعْضُهُمْ أَهْلُ الْمَعَارِفِ وَاللَّطَائِفِ.

وَبَعْضُهُمْ أَهْلُ الْعُلُومِ اللُّدُنِّيَّاتِ وَالْحِكَمِيَّاتِ وَبَعْضُهُمْ أَهْلُ الْاتِّحَادِ. فَإِذَا بَلَغُوا، عَبَرُوا بِحْرَ الْأَزَلِيَّاتِ وَالْأَبَدِيَّاتِ، فَصَارُوا سُكَارَى وَآمِينَ. فَإِذَا تَمَكَّنُوا وَاسْتَقَامُوا فِي جَرَيَانِ طَوَارِقِ الْغَيْبِ مِنَ الْكَشُوفَاتِ وَالْمَوَاجِيدِ، صَارُوا أَهْلَ الصَّدْرِ. فَإِذَا كَانُوا بِمَحَلِّ الِاسْتِقَامَةِ بَعْدَ التَّلْوِينِ: جَعَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى سُرُجَ الزَّمَانِ وَآيَاتِ الْعِرْفَانِ وَمَنَازِلَ الْحَقِيقَةِ وَإِعْلَامَ الشَّرِيعَةِ - جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ هَذِهِ الْحَالَاتِ وَالْمَقَامَاتِ.

وَبَعْدَ فَقَدْ سَأَلَنِي بَعْضُ مَنْ أُحِبُّهُ مَحَبَّةً كَامِلَةً مِنَ الصَّادِقِينَ أَنْ أَذْكُرَ لَهُ مَا يَقَعُ لِي مِنْ وَقَائِعِ الْمَكَاشَفَاتِ وَأَسْرَارِ الْمُشَاهَدَاتِ لِيَكُونَ لَهُمْ (sic) إِعْلَامُ طَرِيقَتِهِ وَمَوْتِسِهِ فِي سِرِّ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ. فَأَجَبْتُهُ بِمَا هُوَ لَهُ.

١ - قَالَ الشَّيْخُ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى رُوحَهُ: وَمِنْ جُمْلَتِهَا مَا رَأَيْتُ اللهَ تَعَالَى عَلَى سَطْحِ بَيْتِي بِوَصْفِ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ وَالتَّقَدُّمِ. رَأَيْتُ كَأَنَّ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ شُعْشُعَانِي كَثِيرٌ عَظِيمٌ. فَنَادَانِي [١٧٢ ب] مِنْ وَسَطِ النُّورِ بِلِسَانِ الْفَارِسِيِّ سَبْعِينَ مَرَّةً: يَا رُوزَبِهَانُ اخْتَرْتُكَ بِالْوِلَايَةِ وَاصْطَفَيْتُكَ بِالْمَحَبَّةِ. أَنْتَ وَلِيِّي وَمُحِبِّي. لَا تَحْزَنْ وَلَا تَخَفْ، فَأَنَا أَحْفَظُكَ وَأُعِينُكَ فِي جَمِيعِ مَرَادِكَ. رَأَيْتُ كَأَنَّ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى كَانَ خِرَارًا وَكَانَ مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ. فَتَفَتَّحَ فِي بِغَيْرِ اخْتِيَارِي وَدَخَلَ جَمِيعُهُ فِي فَمِي. فَمَا بَقِيَتْ قَطْرَةٌ إِلَّا شَرِبْتُهَا.

٢ -وَقَالَ: التَّنَبُّتُ لَيْلَةً فِي نِصْفِهَا وَكُنْتُ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ. فَقُلْتُ فِي قَلْبِي: يَا وَهَّابُ! فَظَهَرَ الْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ بِوشْفِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ

مُتَجَلِّيًا مُتَوَحِّدًا جَوَاهِرَ النُّورِ فَنَثَرَ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ ثِيَارًا عَظِيمًا، وَذَلِكَ مِنْ وَجْهِهِ الْقَدِيمِ وَقَالَ: إِذَا قُلْتَ يَا وَهَّابُ. فَخُذْ هَذَا مِنَ الْوَهَّابِ: وَأَنَا الْوَهَّابُ الْكَرِيمُ!

٣ – قَالَ: قَدْ خَطَرَ بِبَالِي كَثِيرًا مِنَ الزَّمَانِ الْمَاضِي: مَا مَعْنَى « الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ » ، (آيَة (٧٩:١٧)؟ فَرَأَيْتُ لَيْلَةً جَرَاءً عَظِيمًا بَيْنَ يَدَيِ الْخُضْرَةِ لَا سَاحِلَ لَهُ. وَرَأَيْتُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ الْجُرُدِ فِي الْبَحْرِ. وَرَأَيْتُ حِجَابًا مُخْبَأً مَضْرُوبًا عَلَى الْبَحْرِ، وَرَأَيْتُ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْبَحْرِ، وَكَانَ إِلَى صَدْرِهِ: وَمَنْ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى اللهِ تَعَالَى كَانَ أَقْرَبَ مِنْ ذَلِكَ الْحِجَابِ. تَمَشَّيْتُ إِلَى قُرْبِ الْحِجَابِ وَأَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ الْحِجَابِ. فَمَشَيْتُ إِلَى آخِرِ الْحِجَابِ، فَلَمَّا وَصَلْتُ، رَأَيْتُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ نُورًا عَظِيمًا، وَرَأَيْتُ شَخْصًا مِثْلَ الْقَمَرِ مِنَ الْفَرْقِ إِلَى الْقَدَمِ. وَقَدْ أَخَذَ ذَلِكَ الشَّخْصُ جَمِيعَ الْخُضْرَةِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَوْضِعُ رَأْسِ إِبْرَةٍ إِلَّا امْتَلَأَ مِنْهُ. وَكَانَ عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ مُتَّصِلٌ مِنَ الْخُضْرَةِ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ. وَأَرَدْتُ [١٧٣ أ] أَنْ أَدْخُلَ وَرَاءَ الْحِجَابِ مِمَّا قَدَرْتُ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: أَيُّ مَقَامٍ

هٰذَا؟ وَمَنْ هٰذَا الشَّخْصُ؟ فَنُودِيَ فِي سَرِّي: إِنَّ هٰذَا الْمَقَامَ الْمَحْمُودُ وَهٰذَا مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): مِمَّا تَرَى عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ نُورُ التَّجَلِّي وَلَوْ قَدِرْتَ عَلَى الدُّخُولِ لَرَأَيْتَ اللهَ تَعَالَى بِلَا حِجَابٍ. وَقِيلَ لِي: إِنَّ هٰذَا الْمَقَامَ خُصَّ بِهِ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ سَبِيلٌ إِلَى هٰذَا.

٤ – وَقَالَ: رَأَيْتُ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ مَرَّةً بِوَصْفِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ وَقُلْتُ: إِنِّي كَيْفَ تَقْبِضُ رُوحِي؟ فَقَالَ: آتِيكَ مِنْ بُطُونِ الْأَزَلِ وَأَقْبِضُ رُوحَكَ بِيَدِي وَأَذْهَبُ بِكَ إِلَى مَقَامِ الْعِنْدِيَّةِ وَأَسْقِيكَ مِنْ شَرَابِ الدُّنُوِّ وَأُظْهِرُ لَكَ جَمَالِي مُجَلًّى إِلَى الْأَبَدِ كَمَا تُرِيدُ بِلَا حِجَابٍ...

٥ – وَقَالَ: مَرَّةً رَأَيْتُ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ فِي نَوَادِرِ الِالْتِبَاسِ وَقُلْتُ: يَا حَيُّ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ إِلَى مَتَى تُرِي الْمُشَاهَدَةَ فِي حَدِّ الِالْتِبَاسِ؟ أَرِنِي صَرْفَ الْقِدَمِ وَالْبَقَاءِ! فَقَالَ تَعَالَى: مُوسَى وَعِيسَى يَفْقِدَانِ هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ. فَكَاشَفَنِي الْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ فِي ذَرَّةٍ مِنْ نُورِ ذَاتِهِ الْأَزَلِيِّ: وَكَادَ رُوحِي تَزْهَقُ. فَرَأَيْتُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَجَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَالْمَشَايِخُ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى رُوحَهُمْ يَسْأَلُونَ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنِي مَقَامَ الْكِبْرِيَاءِ.

٦ – وَقَالَ: رَأَيْتُ لَيْلَةً مِنْ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى جَلَالًا وَجَمَالًا وَبَهَاءً لَوْ رَأَى أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذٰلِكَ لَمَاتُوا جَمِيعًا مِنَ اللَّذَّةِ. ثُمَّ رَأَيْتُ أَقْطَارَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَمْنُونًا مِنْهُ وَكُنْتُ مَعَهُ : وَكُنْتُ مَعَهُ حَتَّى أَحْضَرَنِي فِي مَقَامِ الدُّنُوِّ فَرَأَيْتُ فَوْقَ كُلِّ فَوْقٍ [١٧٣ ب] وَتَجَلَّى لِي مَا يَسْبِقُ سَبْعِينَ أَلْفَ جَلَالٍ وَجَمَالٍ وَكَمَالٍ وَأَجْلَانِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَلْقَى عَلَيَّ أَلْطَافًا كَثِيرَةً وَسَقَانِي شَرَابَاتٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ. وَلَا

أُطِيقُ أَنْ أَصِفَ ذٰلِكَ الشَّرَابَ. فَلَمَّا سَكِرْتُ، خَطَرَ بِبَالِي: أَيْنَ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَيْنَ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ؟ خَاطَبَنِي الْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ: هُمْ قَدْ فَنُوا فِي أَنْوَارِ الْقِدَمِ! فَرَأَيْتُ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ خَرَجُوا مِثْلَ الْعَسَاكِرِ الْعَظِيمَةِ مِنْ أَنْوَارِ الْقِدَمِ. فَأَوَّلُ قَادِمٍ مِنْهُمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثُمَّ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثُمَّ نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثُمَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثُمَّ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثُمَّ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَاةُ اللهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمْ. فَجَعَلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ أَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَقَدْ تَحَلَّقُوا وَفِي وَسَطِ حَلْقَتِهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَقَدْ نَثَرَ الْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ عَلَى رَأْسِ الْمُصْطَفَى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنِّي اصْطَفَيْتُ عَبْدِي رُوزَبِهَانَ بِالسَّعَادَةِ الْأَزَلِيَّةِ وَالْوِلَايَةِ وَالْكَرَامَةِ وَجَعَلْتُهُ أَوْعِيَةَ عِلْمِي وَسِرِّي لَا يَجْرِي عَلَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ أَحْكَامُ التَّفْرِقَةِ، وَعَصَمْتُهُ

بَعْدَ ذٰلِكَ عَنْ عِصْيَانِي وَجَعَلَهُ مِنْ أَهْلِ التَّمْكِينِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَهُوَ خَلِيفَتِي فِي الْعَالَمِ وَالْعَالَمِينَ، مَنْ أَحَبَّهُ أَحْبَبْتُهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ أَبْغَضْتُهُ، وَلَا مَانِعَ لِقَضَائِي وَلَا مَرَدَّ لِحُكْمِي وَأَنَا فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ» (سورة هود: ١٠٧) .

٧ – وَقَالَ: رَأَيْتُ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ فَعَشِقْتُ بِجَمَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَشْفَقْتُ عَلَى دُنُوِّهِ وَوَصَالِهِ. تَمَكَّنْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ [١٧٤ أ] فَتَضَرَّعْتُ. ثُمَّ ظَهَرَ لِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ. قُلْتُ: إِلَيْ مَا هٰذَا؟ قَالَ تَعَالَى: قَلْبُكَ! فَقُلْتُ: لِقَلْبِي مَنْزِلَةٌ تَكُونُ بِيَدِكَ! فَانْتَشَّ قَلْبِي وَكَانَ كَشَيْءٍ مَطْرُوٍّ تَنْشُرُهُ. فَغَشِيَ قَلْبِي مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرىٰ. فَقُلْتُ: هٰذَا قَلْبِي؟ فَقَالَ: هٰذَا قَلْبُكَ! وَهُوَ أَوْسَعُ الْأَكْوَانِ. فَذَهَبَ كَمَا هُوَ بِيَدِهِ إِلَى أَقْطَارِ الْمَلَكُوتِ وَمَضَيْتُ حَتَّىٰ بَلَغْتُ دِيوَانَ غَيْبِ الْغَيْبِ. فَقُلْتُ: (مَعَاذ) إِلَىٰ أَيْنَ تَذْهَبُ؟ فَقَالَ: إِلَىٰ عَالَمِ الْقِدَمِ حَتَّىٰ أَنْظُرَ فِيهِ وَأَبْدَعَ فِيهِ بَدَائِعَ الْحَقَائِقِ وَأَنْجَلِيَ لَهُ إِلَى الْأَبَدِ بِصِفَةِ الْأُلُوهِيَّةِ، فَقُلْتُ: يُوصَفُ مَا كُنْتُ فِي الْأَزَلِ ! قَالَ: لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَىٰ ذٰلِكَ. فَتَضَرَّعْتُ فَقُلْتُ: أُرِيدُ ذٰلِكَ! فَبَدَا أَنْوَارُ الْعَظَمَةِ، وَصِرْتُ مُتَلَاشِيًا فَانِيًا. ثُمَّ خُوطِبَ سِرِّي وَقِيلَ: تَعَلَّمْ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»: وَهُوَ مَا رَأَيْتَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.

٨ – وَقَالَ: يَوْمًا قَدِ اتَّفَقَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَعَانِي الْبَارِحَةَ إِلَىٰ دَعْوَةٍ فِيهَا السَّمَاعُ فَأَنْشَدَ الْقَوَّالُ: شِعْرًا:

أَيَبْدُو الصُّبْحُ مُحَمَّرَ السِّيَاقِ وَلَمْ يَرْعُفْ خَيَاشِيمُ الرِّفَاقِ
تَدَارَكْ أَيُّهَا السَّاقِي نَفِيسًا تَرْقَى بِأَخْمُومٍ إِلَى التُّرَاقِ

فَغَلَبَ عَلَى الْمَوَاجِيدِ وَالْإِنْطَاقِ وَالْمُوَاصَلَاتِ وَالْمُخَاطَبَاتِ وَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا الْوَارِدُ وَالْوَجْدُ. فَلَمَّا سَكَنَتْ وَخَرَجْتُ تَذَاكَرْتُ تِلْكَ الْأَسْوَاءَ حَتَّىٰ جَاءَ اللَّيْلُ وَاشْتَغَلْتُ بِالصَّلَاةِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا بَالُ بَدَائِعِ الْغَيْبِ

لَمْ
تَنْكَشِفْ فِي السَّـمَاءِ الْبَارِحَـةِ؟ فَـرَأَيْتُ الْحَـقَّ جَـلَّ جَلَالُـهُ بِالْبُـدُوِّ عَلَى
رَوَازِنِ
الْمَلَكُـوتِ طَلَـعَ عَلَيَّ بِوَصْـفِ الْجَمَـالِ وَالْإِجْلَالِ. فَقُلْتُ عَلَىٰ شَـرَائِطِ
الِانْبِسَـــــاطِ:
أَيْنَ كُنْتَ إِذَا غِبْتَ فِي السَّـمَاءِ؟ فَقَـالَ تَعَـالَى [١٧٤ ب] : كُنْتُ مَعَـكَ
بِهٰـــــــذَا
الْوَصْـفِ الَّذِي تَـرَاهُ! فَصَـحِكْتُ وَزَعَقْتُ وَطَـابَ سِـرِّي وَعَقْلِي وَقَلْبِي.
فَلَمَّا
مَضَىٰ مِنَ اللَّيْلِ نِصْـفُهُ. قُمْتُ وَطَلَبْتُـهُ بِوَصْـفِ الْأُلُوهِيَّةِ الْقَدِيمَـةِ بِغَيْـرِ
الْتِبَـــــاسِ
الصِّـفَاتِ فِي الْأَفْعَـالِ، فَتَضَـرَّعْتُ فِي ذٰلِـكَ: فَبَـدَا إِلَيَّ أَنْـوَارُ الـذَّاتِ
وَالصِّـــــفَاتِ
فِي عَـالَمِ الْقِـدَمِ: فَرَأَيْتُـهُ سَـنَاءً فِي سَـنَاءٍ وَجَلَالًا فِي جَلَالٍ وَبَهَـاءً فِي
بَهَاءٍ:

وَرَأَيْتُ بَحْرَ الْقُدْسِ يَتَظَاهَرُ تَجَمُّعُهُ بِنَعْتِ الرِّضَا كَأَنَّهُ يَضْحَكُ فِي وَجْهِي بِتِلْكَ الْأَنْوَارِ. فَعَلِمْتُ أَنَّ ذٰلِكَ مَقَامُ الضَّحْكِ.

٩ – وَقَالَ: مَرَّةً رَأَيْتُ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ بَعْدَ جُلُوسِي عَلَىٰ بِسَاطِ الْعُبُودِيَّةِ لِطَلَبِ ظُهُورِ عَرَائِسِ الْغَيْبِ. جَلَالَ الْحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ فِي مَقَامِ الِالْتِبَاسِ عَلَىٰ هَيْئَةِ الْحُسْنِ مِمَّا قَنَعَ فُؤَادِي بِذٰلِكَ، حَتَّىٰ صَارَ مِنْهُ كَشْفًا خِلَالَ الدَّيْمُومِيَّةِ الَّتِي تَحْرِقُ الضَّمَائِرَ وَالْأَفْكَارَ: وَرَأَيْتُ وَجْهًا أَوْسَعَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ يَتَنَاثَرُ مِنْ أَنْوَارِ الْبَهَاءِ وَهُوَ مُنَزَّهٌ مِنْهُ عَنِ الْأَمْثَالِ وَالْأَشْبَاهِ، لٰكِنْ رَأَيْتُ بَهَاءَهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لَوْنِ الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ كَأَنَّهُ يَتَنَاثَرُ مِنْهُ الْوَرْدُ الْأَحْمَرُ، وَمَا رَأَيْتُ خَدَّهُ. فَذَكَرَ قَلْبِي قَوْلَهُ (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «الْوَرْدُ الْأَحْمَرُ مِنْ بَهَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ ». فَهٰذَا عَلَىٰ قَدْرِ إِدْرَاكِ عَقْلِي. وَلَوْ كَانَ لِي فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ عَيْنٌ مِنْ عُيُونِ الْقُدْسِ لَرَأَيْتُهُ كَمَا يُرَىٰ بِعَيْنِ الظَّاهِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِوَصْفِ الْقِدَمِ وَالْبِنَاءِ وَالْأُولِيَّةِ وَالْأَزَلِيَّةِ الَّتِي مُقَدَّسَةٌ عَنْ مُضَاهَاةِ الْحُدُثَانِ.. فَمَضَىٰ سَاعَةً وَقَالَ لِي: يَا رُوزَبِهَانُ مَنِ الَّذِي يَشُكُّ أَنِّي أَنَا اللهُ؟ هَلْ بَقِيَ لَكَ شَيْءٌ [3] بَانِيكَشِفَ لَكَ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ بِهٰذَا الْمَقَامِ ؟

١٠ – وَقَالَ: رَأَيْتُ نَفْسِي فِي مَقَامِ التَّوَاضُعِ [١٧٥ أ] فَانِيَةً: فَقُلْتُ: أَنَا أَقَلُّ خَلْقِكَ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ! فَتَدَامَىٰ عَلَىٰ قَلْبِي سَطَوَاتُ التَّوْحِيدِ وَالْعَظَمَةِ، وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ حَتَّىٰ تَكُونَ عَبْدًا لِي؟ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللهِ عَنْ قَوْلِي، فَقُلْتُ: بِأَيِّ صِفَةٍ أَقُولُ وَأَنَا فِي مِلْكِكَ، لَا أَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ؟ فَقَالَ: لِمْ لَمْ تَكُنْ مُوَحِّدًا حَتَّىٰ تَنْسَىٰ نَفْسَكَ فَمَا دُونِي مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْأَثَرَىٰ! فَبَقِيتُ فِي حِجَابٍ عَظِيمٍ مِنْ عَظِيمٍ مُتَحَيِّرًا، مِمَّا قَدَرْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ. إِذَا فَخَطَرَ بِبَالِي شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِهِ. فَعَلِمَ فَنَانِي فِيهِ مَشْوقِي إِلَيْهِ، وَبَانَ لِي فِي صَحَارِي الْقَلْبِ، وَأَشَارَ إِلَىٰ نَفْسِهِ فَقَالَ: أَنَا رَبُّكَ! تَوَاجَدْتُ وَطَابَ قَلْبِي.

---

[3] (١) sic وَلَعَلَّهَا وَشَكَ...

١١ – وَقَـالَ: رَأَيْتُ الْحَـقَّ جَـلَّ جَلَالُـهُ أَطَّلَـعَ عَلَىٰ أَهْـلِ الْجَنَّةِ وَقَـالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنِّي آتِي كُـلَّ يَـوْمٍ سَـبْعِينَ أَلْـفَ مَـرَّةٍ إِلَىٰ هٰـذِهِ الرَّوْزَنَـةِ مِنْ عَـــالَمِ التَّقَدُّمِ وَأَنْظُرُ إِلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ شَوْقًا إِلَىٰ لِقَاءِ رُوزَبِهَانَ!

١٢ – وَقَـالَ: رَأَيْتُـهُ تَعَـالَىٰ فِي دَارِي عَلَىٰ أَحْسَـنِ صُـورَةٍ، فَضَـحِكْتُ وَبَكَيْتُ وَاسْتَغْرَقْتُ فِي بُخَـارِ الـدُّنُوِّ، ثُمَّ دَنَـا مِنِّي حَتَّىٰ لَمْ يَبْـقَ بَيْنِي وَبَيْنَـهُ بُعْدٌ. فَقَـالَ لِي: إِنِّي اشْـتَقْتُ إِلَيْـكَ غَايَـةَ الشَّـوْقِ! فَقُلْتُ: إِلٰهِي وَسَـيِّدِي ! إِذَا حَانَ وَقْتُ خُرُوجِي مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ فَخُذْنِي بِنَفْسِـكَ وَأَدْخِلْنِي مَعَـكَ فِي

حِجَـابِ الْغُيُـوبِ! فَقَـالَ تَعَـالَى: هَكَـذَا يَكُـونُ! ثُمَّ غِبْتُ عَنْـهُ، ثُمَّ تَجَلَّى لِي بِصِـفَاتٍ، كَـانَ لَحْظَـةً بِصِـفَةٍ: مَـا رَأَيْتُ أَحْسَـنَ مِنْهَـا.. فَـذَكَرْتُ قَوْلَـهُ (ﷺ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : « وَإِنَّ اللهَ يُرِي هَيْئَةَ ذَاتِهِ كَيْفَ شَاءَ » .

١٣ – وَقَـالَ: يَوْمًـا رَأَيْتُ كَـأَنِّي بِجَبَـلِ الشَّـرْقِ وَرَأَيْتُ جَمَاعَـةً مِنَ الْمَلَائِكَـــةِ وَكَـانَ مِنَ الشَّـرْقِ إِلَى الْغَـرْبِ بَحْـرًا. فَقَـالُوا لِي: أَدْخِـلْ فِي هٰـذَا الْبَحْـرِ وَاسْـــبَحْ فِيـهِ إِلَى الْمَغْـرِبِ! فَـدَخَلْتُ الْبَحْـرَ سَـبَحْتُ فِيـهِ. فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى مَوْضِـعِ الشَّـــمْسِ مِنْ وَقْتِ الْعَصْرِ [١٧٥ ب] رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى جِبَالِ الْمَغْرِبِ، فَصَاحُوا وَقَـالُوا: يَـا فُلَانُ اسْـبَحْ وَلَا تَخَـفْ! فَلَمَّا بَلَغْتُ الْجَبَـلَ، قَـالُوا: مَا عَبَرَ هٰذَا الْبَحْرَ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ تَعَالَى وَجْهَـهُ وَرَضِـيَ اللـهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَأَنْتَ بَعْدَهُ.

١٤ – وَقَـالَ: وَرَأَيْتُ لَيْلَـةً حَضْـرَةَ الْحَـقِّ سُـبْحَانَهُ كَأَنَّهُ فِي سَـوَاقٍ خَالِيَةٍ، وَأَخَذَنِي الْحَـقُّ تَعَـالَى وَذَبَحَنِي، فَـامْتَلَأَتِ السَّـوَاقِي كُلُّهَـا مِنْ دَمِي: وَدَمِي كَـانَ مِثْـلَ شُـعَاعِ الشَّـمْسِ، وَجَمَـاهِيرُ الْمَلَائِكَـةِ يَأْخُـذُونَ مِنْ دَمِي وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وُجُوهَهُمْ. وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى لِبَاسٍ شَـــــــــــــتَّى أَكْثَـــــــــــــــــــــرَ مِنْ أَلْـــــــــــــــــــــفِ مَـرَّةٍ، وَكَـانَ الـرُّطَبُ فِي يَـدِهِ، فَوَضَـعَ فِي فِي رُطَبًـا وَقَـالَ: كُلْهَـا بِـإِذْنِ اللهِ تَعَالَى وَبَرَكَةِ اللهِ تَعَالَى، وَوَضَعَ فِي فِي لِسَانِهِ، فَمَصَمْتُهُ مَعًـا طَـوِيلًا، وَوضَعَ عِمَامَةً عَلَى رَأْسِي..

١٥ – قَالَ: وَرَأَيْتُ لَيْلَةً بَحْرًا عَظِيمًا، وَكَـانَ الْبَحْـرُ مِنْ شَـرَابٍ أَحْمَـرَ وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ (صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ) جَالِسًـا عَلَى وَسَـطِ جَوْبَـةِ الْبَحْـرِ مُتَرَبِّعًـــــــــــــــا سَـــــــــــــــكْرَانَ، وَفِي يَـــــــــــــــــدِهِ قَدَحٌ فِيهِ شَرَابٌ مِنْ ذٰلِكَ الْبَحْرِ: فَشَرِبَهُ. فَلَمَّا رَآنِي غَرَفَ مِنَ الْبَحْرِ بِذٰلِكَ الْقَدَحِ غَرْفَةً وَسَقَانِي ذٰلِكَ. فَفُتِحَ لِي بَعْدَ ذٰلِكَ مَا فُتِحَ وَعَلِمْتُ فَضْـلَهُ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ، حَيْثُ يَمُوتُونَ عِطَاشًا وَهُوَ وَسَطَ بَحْرِ الْجَلَالِ سَكْرَانَ.

١٦ – وَقَـالَ: وَرَأَيْتُ فِي عَـالَمِ الْغَيْبِ عَالَمًـا مُنَـوَّرًا مِنْ نُـورٍ سَـاطِعٍ، وَرَأَيْتُ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ بِلِبَاسِ الْجَلَالِ وَالْجَمَـالِ وَالْبَهَـاءِ وَاسْـتَنَانِي مِنْ بُخَـارِ الْـــوِدَادِ وَشَرَقِي بِمَقَامِ الْأُنْسِ وَأَوَانِي عَالَمِ الْقُـدْسِ. فَلَمَّا دُرْتُ فِي هَـوَاءِ الْقِـدَمِ، وَقَفْتُ عَلَى بَـابِ الْعِـزَّةِ، فَـرَأَيْتُ جَمِيـعَ الْأَنْبِيَـاءِ عَلَيْهِمُ الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ حَاضِـــرِينَ،

وَرَأَيْتُ مُوسَى وَبِيَدِهِ التَّوْرَاةُ وَعِيسَى وَبِيَدِهِ الْإِنْجِيلُ وَدَاوُدَ وَبِيَدِهِ الزَّبُورُ وَمُحَمَّدًا
(ﷺ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [١٧٦ أ] وَبِيَدِهِ الْقُرْآنُ وَأَشْرَفَ بَنِي آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَسْمَاءَ
الْحُسْنَى وَالِاسْمُ الْأَعْظَمُ، وَأَطْعَمَنِي مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التَّوْرَاةَ وَأَطْعَمَنِي عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْإِنْجِيلَ وَأَطْعَمَنِي دَاوُدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ الزَّبُورَ وَأَطْعَمَنِي مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْقُرْآنَ، فَعَلِمْتُ مَا عَلِمْتُ مِنَ الْعُلُومِ الْخَاصَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ الْحَقُّ تَعَالَى أَنْبِيَاءَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ بِهَا.

١٧ - قَالَ: وَرَأَيْتُ الْحَقَّ تَعَالَى يَنْزِلُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ عَلَى زِيِّ شَيْخٍ كَبِيرٍ: فَذَابَ الطُّورُ تَحْتَ سَطَوَاتِ سُلْطَانِ قَهْرِهِ. ثُمَّ غَابَ، ثُمَّ ظَهَرَ. فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا. ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا فَعَلْتُ بِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَرَأَيْتُ الْحَقَّ تَعَالَى مَرَّةً أُخْرَى عَلَى زِيِّ رَاعٍ وَبِيَدِهِ مِغْزَلٌ يَغْزِلُ الْعَرْشَ. وَعَلَيْهِ لِبَاسٌ مِنَ الصُّوفِ الْأَبْيَضِ الْخَشِنِ، فَذَكَرْتُ فِي قَلْبِي: هَذَا نَوْعٌ مِنَ التَّشْبِيهِ: وَاللهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْمَقَابِيلِ! فَكَيْفَ أَقْدِرُ أَنْ أَقُولَ: هَذَا إِنَّهُ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ؟ فَرَأَيْتُ الْعَرْشَ قَدِ الْتَفَّ عَلَى مِغْزَلٍ مِثْلَ شَعْرَةٍ، فَدُهِشْتُ وَاسْتَغْرَقْتُ فِي بَحْرِ الْعَظَمَةِ. ثُمَّ غَابَ عَنِّي، ثُمَّ بَانَ لِي بِوَصْفٍ آخَرَ. وَتَجَلَّى مِنْ عَيْنِ الْأُلُوهِيَّةِ فِي عَالَمِ الْقِدَمِ بِنَعْتِ التَّوْحِيدِ. فَتَحَيَّرْتُ فِي شَأنِي.

ثُمَّ ظَهَرَ لِي مِنْ سَوَابِقِ الْعَرْشِ عَلَى لِبَاسِ الْبَهَاءِ، وَرَأَيْتُ عَلَى الْعَرْشِ مُسَتْرَةً مُشَبَّكَةً مِنَ النُّورِ، فَنَادَانِي مِنْ وَرَائِهَا. فَكَأَنَّهُ لَمْ يَحْتَجِبْ بِذَلِكَ وَرَأَيْتُهُ مَكْشُوفًا. وَقَالَ: يَا رُوزَبِهَانُ لَا تَهْتَمَّ مِنْ جَرَيَانِ أَشْكَالِ الْأَفْعَالِ، وَلَا شَكَّ فِيمَا رَأَيْتَ، فَإِنِّي أَنَا رَبُّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، وَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ يَضِيقَ صَدْرُكَ فِي خَارِ النُّكْرَانِ، فَإِنِّي أَبْتَغِيكَ مَقَامَ عِيَانِ الْغِيَابِ وَأُجْلِيكَ عَلَىٰ بِسَاطِ مَدَانَاتِي أَبَدًا بِلَا حِجَابٍ.

١٨ – وَقَالَ [١٧٦ ب] أَيْضًا فِي حِكَايَةٍ طَوِيلَةٍ: رَأَيْتُ الْمَشَايِخَ يَتَبَرَّكُونَ بِي، وَالشَّيْخَ أَبَا مُسْلِمٍ يَتَلَأْلَأُ مِنَ النُّورِ، وَقَالَ لِأَهْلِ الْعَصْرِ وَأَشَارَ إِلَيَّ: وَهَٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (سورة الأعراف:٧٣). فَفَرِحْتُ فَرَحًا شَدِيدًا لَمَّا شَبَّهَنِي بِنَاقَةِ اللهِ الْكُبْرَىٰ، وَخَاطَبَنِي الْحَقُّ تَعَالَىٰ: بَعْدَ ذَٰلِكَ الْخِطَابُ الْخَاصُّ الَّذِي اسْتَأْثَرَ بِهِ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَصْفِيَاؤُهُ وَقَالَ: أُدْخِلُكَ فِي بَسَاتِينَ الْقُدْسِ وَأُرِيكَ مَشَاهِدَتِي. لَا تَخَفْ، لَا تَخَفْ، إِنَّكَ مِنْ خَوَاصِّ أَصْفِيَائِي.

١٩ - وَقَالَ: رَأَيْتُ الْجَنَّةَ مَرَّةً مِمَّا فِيهَا مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْأَنْوَارِ: لَا يُحْصَىٰ عَدَدُهَا، وَرَأَيْتُ فِيهَا مُحَمَّدًا (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَآدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَجَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْأَوْلِيَاءَ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَىٰ أَسْرَارَهُمْ

وَالشُّــهَدَاءَ وَالْمَلَائِكَــةَ عَلَيْهِمُ السَّــلَامُ، وَرَأَيْتُ عَالَمًــا لَــوْ أَنَّ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
تُلْقَىٰ فِيهِ مَـا وَجَـدَهَا أَحَـدٌ قَـطُّ، مِنْ عَظَمَتِـهِ وَسِـعَتِهِ. مِمَّا رَأَيْتُ فِي ذَٰلِـكَ الْعَـالَمِ إِلَّا نُـورًا فِي النُّورِ وَضِـيَاءً فِي ضِـيَاءٍ وَبَهَـاءً فِي بَهَـاءٍ، وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
وَجَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْأَوْلِيَـاءَ قَـدَّسَ اللـهُ تَعَـالَىٰ رُوحَهُمْ كُلُّهُمْ

رُكْبَان عَلَى نُورٍ: وَكُنْتُ رَاكِبًا عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَرَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ
بِبَابٍ مِنَ الذَّهَبِ وَاللُّؤْلُؤَةِ: وَكَأَنَّهُمْ عَلَى صَفٍّ وَاحِدٍ مُسْرِعِينَ فِي هَوَاءٍ مِثْلِ النَّارِ، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى قُدَّامِ الْخَلْقِ فِي ذَلِكَ الْهَوَاءِ مِثْلَ حَمَامَةِ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ، حَتَّى بَلَغْنَا حَضْرَةَ الْعِزَّةِ تَعَالَى، فَكَشَفَ
اللهُ تَعَالَى لِقَاءَهُ لَنَا يُسَلِّمُ عَلَيْنَا. فَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ وَاحِدًا مِنْ خَلْقِهِ. [١٧٧ أ] فَبَقِيتُ وَحْدِي مُتَحَيِّرًا حَتَّى مَضَى عَلَيَّ زَمَانٌ. فَكُشِفَ لِي عَظَمَةً وَعِزًّا جَبَرُوتًا وَبُخَارًا وَأَنْوَارًا. وَكُنْتُ عَلَى بَابِ عَظَمَتِهِ كَالْغَرِيبِ الدَّهْشِ. فَكَلَّمَنِي مِنْ سَرَادِقِ الْعَظَمَةِ وَقَالَ: يَا مَكْدِي! مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْمَحَلُّ؟ فَانْبَسَطْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ: إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، مِنْ فَضْلِكَ وَجُودِكَ وَكَرَمِكَ!

٢٠ - وَقَالَ: وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْمَكَاشَفَاتِ أَسَدًا أَصْغَرَ عَظِيمَ النِّيئَةِ: تَلَبَّسَ جَبَرُوتَ الْعَظَمَةِ بِهِ وَكَانَ يَمْشِي عَلَى رَأْسِ جَبَلِ قَافٍ، وَقَدْ أَكَلَ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْأَوْلِيَاءَ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمْ، وَبَقِيَ
فِي فَمِهِ مِنْ جَوَامِعِهِمْ، وَيَسِيلُ الدَّمُ مِنْ فِيهِ. وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَهْرِ التَّوْحِيدِ
وَسُلْطَانِهِ عَلَى الْمُوَحِّدِينَ. تَجَلَّى الْحَقُّ مِنْ نُعُوتِ كِبْرِيَاءِ الْقِدَمِ بِصُورَةِ الْأَسَدِ. وَمَعْنَاهُ أَنَّ التَّعَارُفَ طَعْمَةُ قَهْرِ النُّكْرَةِ فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ.

٢١ - وَقَالَ: وَرَأَيْتُ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَدْ طَلَعَ عَلَيَّ مِنَ الْغَيْبِ، فَلَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي حَتَّى شَهَقْتُ وَزُهِقْتُ، وَكَأَنَّهُ يَتَنَاثَرُ مِنْ وَجْهِهِ الْوَرْدُ الْأَبْيَضُ. ثُمَّ غَابَ عَنِّي. ثُمَّ ظَهَرَ بِصُورَةٍ أَحْسَنَ مِنَ الْأُولَى، فَسِرْتُ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ تَنْفِي؟ فَقُلْتُ: إِلَى الْأَزَلِ وَالْقِدَمِ! فَقَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ تَطْلُبُ؟ فَقُلْتُ: أَطْلُبُ فَنَائِي فِي قَهْرِ
الْأَوَّلِ لِأَنِّي أَرْضَى بِرُؤْيَتِهِ فِي الِالْتِبَاسِ! فَقَالَ: هَذَا سَفَرٌ طَوِيلٌ! فَأَنَا آتِي مَعَكَ وَأُصَاحِبُكَ فِي الطَّرِيقِ. فَمَضَيْنَا إِلَى مَا وَرَاءَ الْعَرْشِ، وَسَافَرْنَا سَفَرَ
الْغَيْبِ. ثُمَّ غَابَ عَنِّي، ثُمَّ ظَهَرَ لِي بَعْدَ سَاعَةٍ بِوَصْفِ الْجَبَرُوتِ وَقَالَ: أَطْلُبْنِي فِي مَقَامِ الْعِشْقِ، فَإِنَّ الْكَوْنَ بِمَا فِيهِ لَا يُوَازِي سَنَوَاتِ جَلَالِي.

٢٢ - وَقَالَ: وَرَأَيْتُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ نُورًا مِثْلَ الثَّانِي، مِمَّا عَلِمْتُ أَنِّي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ [١٧٧ ب]. فَكَشَفَ اللهُ تَعَالَى أَنْوَارَهُ الْمُقَدَّسَةَ وَتَبَيَّنَ

لِي
أَنَّ مَا رَأَيْتُ مِنَ النُّورِ كَانَ مِنْ جَلَالِ يَدِهِ. فَعَشِـقْتُ بِهَـا لِأَنَّهَـا تُغَيِّرُ الْأَرْوَاحَ وَالْقُلُوبَ، وَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَلَذَّ مِنْ مَلَكِ الْمَكَاشَفَاتِ. وَرَأَيْتُ الْكَـوْنَ بِأَسْـرِهِ كَذَرَّةٍ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَأَهَمَّنِي قِرَاءَةُ قَوْلِـهِ تَعَـالَى: « وَمِمـا قَـدَرُوا اللـهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ
وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ وَالسَّـمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِـهِ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى

عَمَّا يُشْرِكُون » (٣٩:٦٧) . وَذَكَرْتُ قَـوْلَ النَّبِيِّ (صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ): « الكون فِي يَمِينِ الرَّحْمٰنِ أَقَلُّ مِنْ خَرْدَلَة » .

٢٣ - وَقَـالَ: انْتَبَهْتُ لَيْلَـةً فَتَوَضَّـأْتُ وَاهْتَمَمْتُ لِأَنِّي نِمْتُ أَكْثَـرَ مِمَّا نِمْتُ كُـلَّ لَيْلَـةٍ. ثُمَّ خَطَـرَ عَلَىٰ قَلْبِي أَهْلِيَ الْمُتَوَفَّاةُ رَحِمَهَـا اللـهُ تَعَـالَىٰ، فَقُلْتُ:
يَا إِلَهِي! تَرَىٰ كَيْفَ فَعَلْتِ فِي إِذْ تَوَفَّيْتِيهَا وَتَـرَكْتَنِي مُسْتَوْحِشًـا! فَخَـاطَبَنِي اللـــــهُ
تَعَالَىٰ بِالْفَارِسِيَّةِ: «كَرْدَرَانْ بَا كَرْدَنِسْتْ [4]. فَلَمَّا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، اسْـتَقْبَلَنِي الْحَقُّ فِي وَادِي الْأَزَلِ وَكُنْتُ غَرِيبًا هُنَاكَ، ثُمَّ بَانَ لِي عِنْدَ شَـوَامِخِ الْكِبْرِيَـاءِ بِوَصْفِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، ثُمَّ أَرَانِي عَـالَمَ الْغَيْبِ، وَكُنْتُ خَائِفًـا مِمَّا أَبْطَـأْتُ فِي نَوْمِي. فَقَالَ الْحَقُّ تَعَالَىٰ: لَا تَهْتَمَّ! فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ نَائِمًـا، فَأَنَـا لَـكَ غَيْـرُ نَائِمٍ: وَكُنْتُ مُتَلَطِّفًا بِـكَ، رَافِعًـا لَـكَ. ثُمَّ أَرَانِي نَفْسَـهُ مِـرَارًا، لَا أُطِيـقُ أَنْ أَشْرَحَهُ: وَكُنْتُ فِي بُحَارِ الشَّـوْقِ مُسْـتَغْرِقًا وَفِي مَجَـالِسِ الْأُنْسِ وَالْوَلَـهِ، قَلْبِي بَيْنَ
الِاسْتِتَارِ وَالتَّجَلِّي، وَرُوحِي بَيْنَ الْوَجْدِ وَالْفَقْـدِ، وَسِـرِّي مُشَـاهِدٌ لِلْجَبَـرُوتِ، وَعَيْنَايَ فِي دَوَرَانِ الْمَلَكُوتِ صَبَّابَتَانِ الْعَبَرَاتِ حَتَّىٰ شَاهَدْتُ الْحَـقَّ تَعَـالَىٰ بِطِيبِ الْوِصَالِ.

٢٤ - وَقَالَ: رَأَيْتُ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَنْكَشِفُ لِلْخَلْـقِ جَمِيعًـا عَلَىٰ وَصْفِ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّ لَيْلَةَ الْقَـدْرِ لَيْلَـةَ الْحَـادِي [١٧٨ أ] وَالْعِشْرِينَ؛ وَقَدْ طَلَبْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَقْتَ السَّحَرِ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَـةِ: فَخَـاطَبَنِي بِمَـا خَـاطَبَ مُوسَـىٰ عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ، وَرَأَيْتُ فِي طُـورِ سَـــــــيْنَاءَ
ظَهَرَ نَفْسَهُ فِي الْجَبَلِ مِنْ نَفْسِ الْجَبَلِ. فَتَجَلَّى الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَىٰ مِنْ تِلْكَ الرَّوْزَنَةِ وَقَالَ: هٰكَذَا أَظْهَرْتُ نَفْسِي لِمُوسَـىٰ عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ. فَرَأَيْتُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَأَنَّهُ رَأَى الْحَقَّ تَعَالَىٰ وَقَدْ سَقَطَ مِنَ الْجَبَلِ: سَكْرَانَ، إِلَىٰ حَفِيضِ الْأَجْبَالِ.

٢٥ - وَقَالَ: رَأَيْتُ الْحَقَّ تَعَـالَىٰ بِوَصْـفِ الِالْتِبَـاسِ وَالْحُسْـنِ وَالْجَمَـالِ جَالِسًا عَلَىٰ سَطْحِ رِبَاطِي بِشِيرَازَ، وَكُنْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَانِيًا، وَمَـعَ ذَٰلِـكَ خَطَـرَ بِقَلْبِي
سِرُّ التَّوْحِيدِ وَحَقَـائِقُ الْفَرْدَانِيَّةِ وَقُـدْسُ الْعِـزَّةِ. فَنَظَـرَ الْحَـقُّ سُـبْحَانَهُ إِلَى الْأَكْـــــــوَانِ:

---

[4](٤) أَيْ وَلِيَتُكَ تَعْمَلُ بِنَفْسِكَ كَمَا عَوَّدْتُ بِهِ

فَرَأَيْتُ جَمِيعَ الْجِبَالِ خَرَّتْ لَهُ جِدًّا ثُمَّ ذَابَتْ. فَعَرَّفَنِي أَنَّ ظُهُورَهُ بِتِلْكَ الصِّفَةِ رَحْمَةٌ وَشَفَقَةٌ عَلَيَّ. وَرَأَيْتُ فِي وَسَطِ تِلْكَ الْمَكَاشَفَاتِ جَمِيعَ الْجِبَالِ يَأْتِينَ إِلَىٰ قُرْبِ الْحَقِّ تَعَالَىٰ، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجِبَالِ شَرْبَةٌ مِنْ شَرَابِ الْقُدْسِ لِأَجْلِي، فَفَرِحْتُ بِذَٰلِكَ.

٦ - وَقَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي صَحْرَاءَ، وَقَامَ الْمَشَايِخُ هُنَاكَ، وَبِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِقْلَاةٌ يَرْمُونَ الْأَحْجَارَ عَلَيَّ مُتَوَاتِرًا، وَكَانَ شَيْخُنَا وَسَيِّدُنَا أَبُو يَزِيدَ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى سِرَّهُ أَكْثَرَهُمْ إِغْرَاضًا. فَضَاقَ وَقْتِي هُنَاكَ، وَاسْتَعَنْتُ بِاللهِ. وَظَهَرَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَرَمَى إِلَيْهِمْ حَجَرًا عَظِيمًا فَسَكَنُوا جَمِيعًا وَطَرَحُوا الْمِقْلَاةَ وَقَرُبُوا مِنِّي وَتَلَاطَفُوا بِي. فَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بَلَغْتُ سَرَادِقَ الْكِبْرِيَاءِ وَرَأَيْتُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْأَوْلِيَاءَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَالْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَقْدَمَ الْخَلْقِ فِي الْحُضْرَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى: نَبِيُّنَا [١٧٨ ب] (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

٢٧ - [وَقَالَ]: مَرَّةً قَدْ تَحَيَّرْتُ فِي أُولِيَّةِ الْحَقِّ تَعَالَى. فَرَأَيْتُهُ عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ وَذَكَرْتُ فِي قَلْبِي: مِنْ أَيْنَ وَقَعْتُ مِنْ عَالَمِ التَّوْحِيدِ إِلَى مَقَامِ الْمُتَشَابِهَاتِ؟ فَدَنَا مِنِّي وَأَخَذَ يُجَاذِبُنِي. قَالَ: ثُمَّ! أَيُّ شَيْءٍ هَذَا الْخَاطِرُ؟ تَشُكُّ فِي نَفْسِي وَأَنَا مِثْلُكَ نَفْسِي فِي عَيْنِكَ لِتَسْتَأْنِسَ بِي وَتَعْشَقَنِي - وَعَلَيْهِ أَنْوَارُ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ لَا يُحْصَى عَدَدُهَا. فَلَمَّا دَنَا وَقْتُ السَّحَرِ أَمَرَنِي بِوَظَائِفَ. فَقُلْتُ: مَا قَضَيْتُ وَطَرِي مِنْكَ! بِعِزَّتِكَ أَطْعِمْنِي طَعْمَ مَحَبَّتِكَ وَأَرِنِي حَقَائِقَ جَمَالِكَ وَجَلَالِكَ حَتَّى أَفْرَحَ بِكَ وَأَذُوبَ فِيكَ مِنْ حَلَاوَةِ الْأُنْسِ! فَقَالَ: قُمْ وَاصْعَدْ إِلَى سَطْحِ الرِّبَاطِ، فَهُنَاكَ تَنْكَشِفُ مَرَادُكَ. فَلَمَّا صَعَدْتُ فَأَذَّنْتُ أَذَانَ السَّحَرِ، رَأَيْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ هِنْدٍ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى سِرَّهُ فِي مَقَامِ الْمُرَاقَبَةِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: أَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُ؟ فَنُودِيَ فِي سِرِّي: إِنَّهُ يُرَاقِبُ أَخْلَالِي! وَرَأَيْتُ الصُّوفِيَّةَ مُرَاقِبِينَ جَلَالَهُ. ثُمَّ رَأَيْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَعَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُرَاقِبِينَ مُشَاهَدَةَ جَلَالِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُ جِبْرِئِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَجَمِيعَ الْكَرُوبِيِّينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مُرَاقِبِينَ

مُشَاهَدَةَ الْقُدْسِ، ثُمَّ رَأَيْتُ الْحَقَّ تَعَالَى وَأَظْهَرَ لَهُمْ مَا وَحْسَنَهُ. وَأَنَا بَيْنَ الْعَرَفَيةِ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمْ وَرَضِيَ عَنْهُمْ كَالسِّكْرَانِ الْوَانِي، مُقْبِلٌ بِوَجْهِي حَوْزَ عِزَّتِهِ، قَدْ دَنَا مِنِّي وَمَنَّنِي وَرَقَصَ مَعِي مُخَصِّنِي بِذَلِكَ مِنْ بَيْنِهِمْ. فَلَمَّا ذُقْتُ حَلَاوَةَ الِانْبِسَاطِ، غَلَبَ عَلَيَّ صَبَاحُ الْمَلَكُوتِيِّينَ وَزَعَقَاتُ الْحمْدَانِيَّةِ وَشَهَقَاتُ الرَّبَّانِيَّةِ. قَالَ: وَكُلُّ ذَلِكَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اللَّيْلَةَ حَيْثُ كُنْتُ [١٧٩ أ] فِي تِلْكَ الْأَحْوَالِ الَّتِي ذَكَرْتُ، فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي بِالْأَمْسِ كُنْتُ جَلِيسَكَ فِي جَنْبِكَ بِنَعْتِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ: وَوَجْهِي عِنْدَ وَجْهِكَ، وَبِيَدِي مِرْآةٌ مُقَابِلَةٌ وَجْهِي وَوَجْهِكَ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى وَجْهِكَ وَأَنْظُرُ مِنْ وَجْهِكَ إِلَى الْمِرْآةِ الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا وَجْهِي وَجْهَكَ (sic)

وَكُنْتُ نَاظِرًا إِلَيْهِ. فَزَعَقْتُ وَبَكَيْتُ وَتَضَرَّعْتُ مِنْ كَمَالِ لُطْفِهِ وَغَايَةِ كَرَمِهِ حَيْثُ جَعَلَ نَفْسَهُ فِي لِبَاسٍ مِنْ قُدْرَتِهِ حَتَّى أَرَانِي نَفْسَهُ لِأَنَّهُ عَلِمَ عَجْزَ أَحَدٍ عَنْ مُوَازَاةِ عِزِّ الْقِدَمِ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ مَا خَطَرَ وَمَا يَخْطُرُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ: تَعَالَىٰ عَنْ وَصْفِ الْوَاصِفِينَ!

قَالَ: ثُمَّ رَأَيْتُهُ تَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ بِوَصْفِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْقِدَمِ وَالْبَقَاءِ مِرَارًا: ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي جَلَالِ الْأُنْسِ بِنَعْتِ الْقُدْسِ، وَلَمْ يَبْقَ هُنَاكَ مَقَامٌ، فَغُصْتُ فِي بُحَارِ الدَّيْمُومِيَّةِ وَالْأَزَلِيَّةِ وَالْأَبَدِيَّةِ، ثُمَّ فَنَيْتُ مِنْ جَمِيعِ صِفَاتِي، ثُمَّ نَزَلْتُ إِلَىٰ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ. فَرَأَيْتُ جَمِيعَ الْأَكْوَانِ عِنْدَ عِزَّتِهِ أَقَلَّ مِنْ خَرْدَلَةٍ، ثُمَّ سِرْتُ فِي مَيَادِينَ الْأَزَلِيَّةِ سَكْرَانَ وَانِيًا، ثُمَّ أَلْبَسَنِي لِبَاسًا مِنْ حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ: فَكُنْتُ هُنَاكَ مَعْشُوقَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ عَشِقَنِي وَتَلَطَّفَ بِي بِأَلْطَافٍ لَوْ قُلْتُ مِنْهَا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ. ثُمَّ جَعَلَنِي مُتَّصِفًا بِصِفَاتِهِ، ثُمَّ جَعَلَنِي مُتَّحِدًا بِذَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُ نَفْسِي كَأَنَّهُ هُوَ، مِمَّا ذَكَرْتُ شَيْئًا إِلَّا نَفْسِي، ثُمَّ أَفَقْتُ مِنْ ذَٰلِكَ وَنَزَلْتُ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ إِلَى الْعُبُودِيَّةِ: ثُمَّ تَمَنَّيْتُ مَقَامَ الْعِشْقِ حَتَّى رَأَيْتُ نَفْسِي فِي دَارِ الْجَلَالِ، فَرَأَيْتُ الْحَقَّ تَعَالَىٰ بِصُورَةِ الِالْتِبَاسِ، وَبَقِيتُ فِي مَقَامِ الْأُنْسِ سَاعَةً، غَائِبًا عَنْ كُلِّ مَا دُونَهُ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَيَّ [١٧٩ ب] مَوَاجِيدُ كَثِيرَةٌ مَعَ الْهَيْجَانِ وَالْبُكَاءِ مِنْ شُهُودِ الْعَيْنِ، فَنَادَانِي مِرَارًا، فَسَجَدْتُ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَرَأَيْتُ عَلَىٰ ظَهْرِي أَثْقَالَ أَنْوَارِ الْعَظَمَةِ فَقُلْتُ: يَا إِلَهِي! مَا هَٰذَا؟ قَالَ: نُورُ الِاسْتِوَاءِ! فَقُلْتُ: إِلٰهِي! مَا مَعْنَىٰ قَوْلِكَ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (20:5)؟ فَقَالَ تَعَالَىٰ: إِذَا تَجَلَّيْتُ! فَلِذَٰلِكَ اسْتَوَىٰ عَلَيْهِ.

٢٨ - قَالَ: نَزَلَ تَعَالَىٰ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِوَصْفِ الِالْتِبَاسِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ. وَبَيْنَ يَدَيْهِ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَقَالَ: لَمْ يَبْتَدِئْ إِلَىٰ قُرْبِي مِنْ مُشَاهَدَتِي إِلَّا مَا شَاءَ. فَإِذَا أَرَدْتُ عَلَىٰ بَعْضِهِمْ رَحْمَةً أَفْتَحُ لَهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْغُيُوبِ. وَلَا يَجْتَرِئُ أَنْ يَدْنُوَ مِنِّي لِأَنَّ قُرْبِي قَرِيبُ الْمَعَارِفِ لَا قُرْبُ الْمَسَافَةِ، فَأَبْشِرْ تَفِيءُ صَدْرُكَ (sic)، وَأَنَا قَائِمٌ بِذَاتِي سُبْحَانِي أَنَا أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ بِلَا زَمَانٍ: أَنَا مَوْجُودٌ عَزِيزٌ قَدِيمٌ بِلَا مَكَانٍ. وَالْجَوَاهِرُ مُتَحَيِّزُونَ فِيمَا بَيْنَ الْعَرْشِ إِلَىٰ الثَّرَىٰ. فَبَيْنَا كُنْتُ كَذَٰلِكَ إِذْ ظَهَرَ فِي شُعَاعِ إِشْرَاقِ شُمُوسِ الصِّفَاتِ وَطَابَ قَلْبِي: وَكَانَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ مَقَامٍ بِمَا وَجَدْتُ مِنْهُ. فَذَكَرَ خَاطِرِي قِصَّةَ مُوسَىٰ

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَرَأَيْتُهُ إِلَىٰ قُـرْبِ الْحَـقِّ جَـلَّ جَلَالُـهُ وَبَعْضَ مَقَامَاتِـهِ الْعَالِيَـــةِ
وَمُعْجِزَاتِهِ الشَّرِيفَةِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ. فَعَاقَبْتُ خَاطِرِي وَقُلْتُ: إِلٰهِي!

أَنْتَ مُنَزَّهٌ عَنْ مُنَاسَبَةِ الْمَخْلُوقِينَ، أَعْطَيْتَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تِلْكَ
الْمَعْجِزَاتِ وَالْمَقَامَاتِ وخَصَّصَهُ بِالْمُكَالَمَةِ[5]، فَأَيُّ شَيْءٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ؟
وَأَنَا أَيْضًا مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَأَيُّ شَيْءٍ أَعْطَيْتَنِي؟ فَظَهَرَ لِي
بِوَصْفِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ وَقَالَ لِي: إِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ أَتَانِي
وَأَنَا أَتَيْتُكَ، أَمَا تَرْضَىٰ؟ [١٨٠ أ] أَتَيْتُكَ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ مِنْ وَقْتِ اضْطِجَاعِكَ
إِلَىٰ وَقْتِ انْتِبَاهِكَ! فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَٰلِكَ أَخَذَنِي تَلَاطُمُ بُحَارِ التَّوْحِيدِ. فَلَمَّا مَضَىٰ
زَمَانٌ: غَابَ عَنِّي وَطَارَ قَلْبِي فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، فَأَجْلَسَنِي فَرْقًا كَانَ
فَوْقَ، وَظَهَرَ لِي بِأَنْوَارِ كِبْرِيَاءِ الذَّاتِ وَالْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ ثُمَّ قَالَ: أَمَا كُنْتَ
تَقْرَأُ: « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا
أَحَد » (١١٢ : ١ - ٤) وَ« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ » (١١:٤٢) ؟ هَل تَرَىٰ شَيْئًا
مِنَ الْإِكْوان[6]؟ أَنَا تُرَانِي بِوَصْفِ الْجَلَالِ وَالْعِزَّةِ وَالْبَقَاءِ، وَهَٰذَا عَالَمُ الْوَحْدَانِيَّةِ
وَهَٰذَا مَقَامُ التَّوْحِيدِ - فَذَكَرْتُ مَقَامَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَيْثُ دَنَا فَتَدَلَّىٰ
(٥٣ : ٨): هَلْ كَانَ فِي مُشَاهَدَةٍ غَيْرِ مُشَاهَدَةِ الْقُدْسِ؟ فَحَسْبُنَا اللهُ تَعَالَىٰ
حَيْثُ أَمَرَأَ نَفْسَهُ فِي مَقَامِ الِالْتِبَاسِ حَيْثُ قَالَ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ
صُورَةٍ فَقَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَىٰ يَا مُحَمَّدُ؟ قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ أَيَّ رَبِّ؟».
حَتَّىٰ قَالَ مَرَّةً أُخْرَىٰ: «فَوَضَعَ كَفَّهُ عَلَىٰ كَتِفِي فَوَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ
ثَنَايَايَ فَعَلِمْتُ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ» (الْحَدِيثُ). فَعَلِمْتُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَىٰ تَنَزَّلَ فِي حَيْثُ أَرَانِي مَا تَرَىٰ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ مَقَامَاتِ التَّوْحِيدِ
وَالْمَحَبَّةِ، وَهَٰذَا

[5] (5) وخصصيا (sic)
[6] (6) الاكوانها

عُذْرٌ مِنْهُ. فَأَنَا أَطْلُبُهُ بِوَصْفِ التَّقَدُّمِ وَنُعُوتِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ.

٢٩ - قَالَ: مَرَّةً قَدْ جَلَسْتُ فِي دِيوَانِ الْمُرَاقَبَةِ لِطَلَبِ وُصُولِ الْحَقِيقَةِ

حَتَّىٰ مَضَىٰ زَمَانٌ، مِمَّا فُتِحَ لِي شَيْءٌ. فَغَابَ سِرِّي وَتَغَيَّرَ قَلْبِي مِنْ مَرَارَةِ الِانْفِقَادِ، وَذَكَرْتُ اللهَ تَعَالَىٰ فِي الْغَيْبَةِ وَالْحُضُورِ مَقَالَةَ أَهْلِ الْإِنْبَاطِ وَقُلْتُ:

أَيُّ شَيْءٍ هٰذَا [١٨٠ ب] الضِّيقُ، وَبِسَاطُ عَطَائِكَ مَبْسُوطٌ فِي الْغَيْبِ؟ لَوْ تَظْهَرُ فِي بَيِّنِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْ يُخَاصِمُكَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ وَلَوْ تُعْطِينِي

نَوَالَ مُشَاهَدَةٍ بَعْدَ كَشْفِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، مَنْ يُشْرِفُكَ مَنْ يَعْتَرِيكَ وَمَنْ يُجَادِلُكَ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَىٰ؟ جَبَّارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُشْرِفُ بِكَ تَغَيُّرُ

الْحُدْثَانِ! الْأَمَانَ. الْأَمَانَ الْمُسْتَغَاثَ إِلَيْكَ! تَفْعَلُ بِأَوْلِيَائِكَ وَأَهْلِ أَشْوَاقِكَ مَا لَا تَفْعَلُ بِالْكَفَرَةِ بِأَسْرَافِهِمْ! - مَعَ كَلِمَاتٍ أُخَرَ مِنْ مُسَافِرَةِ أَهْلِ الْإِنْبِسَاطِ

وَالْأُنْسِ -: فَأَوْقَعَنِي بِالْغَيْبَةِ فِي أَنْوَارِ تَجَلِّي الذَّاتِ فِي الصِّفَاتِ وَتَجَلِّي

الصِّفَاتِ فِي الْأَفْعَالِ. فَظَهَرَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ بِلِبَاسِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي أَفْعَالٍ شَتَّى الَّتِي سَمَّاهَا الصُّوفِيَّةُ مَقَامَ الِالْتِبَاسِ.

٣٠ - قَالَ: وَجَلَسْتُ لِلْمُرَاقَبَةِ وَخَاضَ قَلْبِي فِي بُحَارِ الْأَفْعَالِ، فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا إِلَّا عَمَاءً فِي عَمَاءٍ. ثُمَّ خُضْتُ فَبَلَغْتُ، ثُمَّ قَطَعْتُ ذَلِكَ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى أَنْوَارِ بُوَادِي الصِّفَاتِ، فَكُنْتُ هُنَاكَ بَيْنَ الِاسْتِتَارِ وَالتَّجَلِّي. فَتَجَلَّى الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ عَالَمِ الْقُدْرَةِ. فَقُلْتُ: مَا هٰذَا التَّجَلِّي؟ فَقَالَ: تَجَلِّي الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ! فَنَظَرْتُ فِي ذٰلِكَ فَإِذَا قَدِ انْكَشَفَ لِي يَدُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَرَأَيْتُ مِنْ بُطُونِ الْأَزَلِ إِلَى عَالَمِ الْأَبَدِ نُورًا مُرَمَّدًا كَأَنَّهُ أَخَذَ بِيَدِهِ جَمِيعَ الْأَكْوَانِ وَالْحُدُثَانِ عَلَى مِثَالِ كُرَةٍ: فَتَلَاشَى الْحُدُثَانُ دُونَ يَدِهِ. فَخَاطَبَنِي بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (٤٨:١٠). فَمَا رَضِيتُ بِتِلْكَ الْمَكَاشَفَاتِ وَتَفَكَّرْتُ فِي سُبُحَاتِ الْجَلَالِ. فَعَرَضَ الْخَاطِرُ قَوْلَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «وَحِجَابُ النُّورِ لَوْ كُشِفَ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». فَلَمَّا تَفَكَّرْتُ فِي ذٰلِكَ وَصَلَ إِلَيَّ أَنْوَارُ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ: فَكِدْتُ أَحْتَرِقُ. فَجَعَلَنِي اللهُ تَعَالَى مُسْتَقِيمًا، فَرَأَيْتُ نَبِيَّنَا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَآدَمَ وَنُوحًا وَمُوسَىٰ وَأَكَابِرَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَارِّينَ مِنْ حِدَّةِ سُبُحَاتٍ، فَقَرَرْتُ مَعَهُمْ، فَأَخَذَنِي تَعَالَى بِالْقُوَّةِ الْأَزَلِيَّةِ فَكَشَفَ لِي جَلَالَ مَجْهِهِ: فَرَأَيْتُ الْحُدُثَانَ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَىٰ دُونَ مَجْهِهِ أَقَلَّ مِنْ خَرْدَلَةٍ. فَخَاطَبَنِي الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٨٨:٢٨).

٣١

قَالَ: وَرَأَيْتُهُ تَعَالَى فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ الْمَاضِيَةِ كَأَنَّهُ ذَبَحَنِي مِرَارًا وَأَرَاقَ دَمِي فِي أَسْوَاقِ الْغَيْبِ. فَوَقَعْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي بَلَاءٍ عَظِيمٍ وَاسْتَعَنْتُ بِهِ مِنْ ذٰلِكَ وَقُلْتُ: أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ! ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ انْكَشَفَ لِي الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ: إِلَىٰ مَتَىٰ تَهْتَمُّ؟ إِنَّا نَفْعَلُ مَا نَشَاءُ!

٣٢

قَالَ: وَرَأَيْتُ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِوَصْفِ الْعِزَّةِ وَمَا فَهِمْتُ مِنْهُ شَيْئًا. ثُمَّ أَخَذَنِي بُحَارُ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ وَأَغْرَقَنِي فِيهَا. فَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ

إِلَّا أَنْـوَارَ الْكِبْرِيَـاءِ، وَجُعْتُ وَقَـرَرْتُ مِنْهَـا لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ قَـدِ انْقَطَـعَ هُنَـاكَ وَقَدْ بُنِيَ فِي قَلْبِي ذَوْقُ ذٰلِكَ وَبَقِيَ فِي عَيْنِ رُوحِي تِلْـكَ الْمُشَـاهَدَةُ كَـأَنِّي أَرَاهَا فِي جَمِيعِ السَّاعَاتِ.

٣٣ - وَقَـالَ: يَوْمًـا قَـدْ صَـلَّيْتُ فِي السَّـحَرِ لِطَلَبِ مُشَـاهَدَةِ الْغَيْبِ، فَرَأَيْتُ نَفْسِي فِي صَـحْرَاءَ وَاسِـعَةٍ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْحَضْـرَةِ حُجُبٌ مُتَكَاثِفَـةٌ، فَسَـمِعْتُ كَلَامَ الْحَـقِّ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى يَتَكَلَّمُ مِنْ وَرَاءِ تِلْـكَ الْحُجُبِ وَكَـانَ الْأَكْوَانُ وَالْحُدُثَانُ تَذُوبُ [١٨١ ب] مِنْ هَيْبَـةِ كَلَامِـهِ مِمَّا دَرَيْتُ مَـا سَـمِعْتُ

مِنْهُ وَتَمَنَّيْتُ مِنَ الْحَقِّ تَعَالَى أَنْ يُعَلِّمَنِي أَيُّ شَيْءٍ يَقُولُ. فَقَالَ تَعَالَى: أَقُولُ ﴿وَإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٦:٨٢-٨٣). فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: الْكَائِنَاتُ تَفِرُّ مِنْ صَوْلَةِ كَلَامِهِ، فَمَنْ يَقُومُ بِإِزَاءِ عِزَّتِهِ وَكَشْفِ جَلَالِهِ؟ فَكُشِفَ السَّاعَةَ تِلْكَ الْحُجُبُ فَرَأَيْتُهُ بِوَصْفِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ وَالْهَيْبَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَأَدْنَانِي مِنْهُ وَقَرَّبَنِي حَتَّى رَأَيْتُهُ كَمَا أَرَدْتُ، وَرَأَيْتُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَرْعَى فِي صَحَارِي الْغَيْبِ، حَيَارَى سُكَارَى، مَجْرُوحِينَ مُخَضَّبِينَ بِدِمَائِهِمْ مِنْ صَوْلَةِ جَلَالِهِ وَسَطَوَاتِ عَظَمَتِهِ. ثُمَّ تَجَلَّى لِي بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ فِي مَقَامِ الْإِنْبِسَاطِ، فَتَبَسَّطَ إِلَيَّ وَقَالَ: بِهٰذَا الْوَصْفِ الَّذِي رَأَيْتَنِي مَضَيْتُ إِلَىٰ بَلَدِكَ وَمَحَلَّتِكَ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَكَ لِأَجْلِكَ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ مِنْ عَالَمِ الْقِدَمِ. وَكُنْتُ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ عَلَىٰ هَيْئَةِ السُّكَارَى مِنَ الْفَرَحِ وَالْهَيَجَانِ مِمَّا سَمِعْتُ مِنَ الْحَقِّ فِي طُولِ عُمْرِي قَطُّ مِثْلَ مَا سَمِعْتُ.

٣٤ - وَقَالَ: انْكَشَفَ الْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ لِي مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً بِوَصْفِ الْجَمَالِ وَمَرَّةً بِوَصْفِ الْجَلَالِ فَقَالَ: مَنْ لَمْ يَنْكَشِفْ لَهُ وَجْهِيَ الْكَرِيمُ لَمْ يَصِلْ إِلَيَّ بِالْمُجَاهَدَاتِ وَالرِّيَاضَاتِ، وَهٰذَا خَاصٌّ لِأَحِبَّائِي وَأَهْلِ قُرْبِي، وَلَا سَبِيلَ إِلَيَّ إِلَّا بِي.

٣٥ - وَقَالَ الشَّيْخُ: وَقَدْ كُنْتُ فِي بُخَارِ الِامْتِحَانِ، يَجْرِي عَلَيَّ حَوَادِثُ الزَّمَانِ، وَطَلَبْتُ مِنَ اللهِ تَعَالَى نَجَاةً مِنْهَا، وَقُلْتُ: لَوْ وَهَبْتَ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى النَّمْلَةَ صَغِيرَةً، لَا يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِكَ ذَرَّةً لِأَنَّ مَفَاتِيحَ الْأَقْدَارِ الْمَعْدُومَةَ بِيَدِكَ، تُخْرِجُ مِنَ الْعَدَمِ بِأَقَلِّ مِنْ لَمْحَةٍ بِقُدْرَتِكَ [١٨٢ أ] الْوَاسِعَةِ سَبْعِينَ أَلْفَ عَالَمٍ مِنْ عَوَالِمِ الْمُلْكِ وَالشَّهَادَةِ، فَمَا هٰذَا الْفَيْقُ يَا صَاحِبَ هُمُومِ الْعَارِفِينَ؟ اجْمَعْ عَلَيَّ مَهَلَتَكَ مُخَلِّصِي مِنْ جَمِيعِ الْهُمُومِ! أَنْتَ وَهَبْتَ مُلْكَ سُلَيْمَانَ لِسُلَيْمَانَ وَمُلْكَ دَاوُدَ لِدَاوُدَ وَمُلْكَ مِصْرَ لِيُوسُفَ، وَلَيْسَ بِهِمْ عَلَيْكَ شَيْءٌ، يَا قُدُّوسُ! - وَكُنْتُ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ عَلَىٰ حُزْنٍ طَوِيلٍ وَاهْتِمَامٍ وَبِفُرْسَانِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْبَدِيعَةِ فِي جِدَالِ عَالَمِ الْغَيْبِ بِرَصْفِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، فَدَنَا مِنِّي بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَيْنٌ: وَتَلَطَّفَ فِيَّ وَكَأَنَّهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ هُمُومِي، يَعْنِي: لَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَتَشَوَّشَ خَاطِرُهُ بِمُرُورِ الْبَلَاءِ. ثُمَّ قَالَ: انْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ الْعِيَانِ! فَنَظَرْتُ إِلَىٰ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ، وَاسْتَأْنَسْتُ بِهِ وَعَشِقْتُ، وَكَانَ قَلْبِي وَرُوحِي وَنَفْسِي وَعَقْلِي

وَصُورَتِي فِي أَنْوَارِ جَلَالِهِ: مُسْتَغْرِقًا فِي بِحَارِ الْأُنْسِ وَالْوَجْدِ. فَلَمَّا سَكَنَ سِرِّي: قُلْتُ: إِلٰهِي! كُنْ سَمْعِي وَبَصَرِي وَلِسَانِي وَقَلْبِي وَرُوحِي وَعَقْلِي وَجَمِيعَ أَجْزَائِي وَأَغْرِقْنِي فِي بِحَارِ أُلُوهِيَّتِكَ بِحَيْثُ أَنْظُرُ إِلَىٰ ذَاتِكَ وَصِفَاتِكَ

بلا حجاب الى الابد بنور العشق والشوق والمحبة والمعرفة . فرأيت بخارا من اللؤلؤ الرطب، فاخذ سبحانه وتعالى جواهر من ذلك ونشر على رأسي كثيراً، وكذلك فعل الأنبياء والملائكة حتى بلغت عالم القدم ، فظهر الحق جل جلاله بوصف الأزلية ، وهناك مقام الفناء . ثم غاب عني وسمعت منه في حالة النثار قوله تعالى : ويجبى اليه ثمرات كان شيء رزقاً من لدنا (٥٧:٢٨) . ثم قال : ليس من فوق العرش الى قرار الثرى . انا مدير الخلائق وبيدي مفاتيح كل شيء ، أتصرف في ملكي [١٨٢ ب] كما أشاء . أليس جريان المقادير لي وصدر من إرادتي ؟ . قل لهولاء الفضوليين. والمتشكين عني ليسكتوا الشكاية وليشكروا الى موازاة نعمتي ، والا فأدمر عليهم ! فخفت من هذا العتاب : فانه يتناثر منه الجبارية . فاني رأيته ، وكنت في حجرتي ، كأنه دخل علي وكان على حسن وجمال ما لا أطيق وصفه . فبكيت وتضرعت لديه وقلت : إني ! خلني حتى انظر اليك ساعة وأذهب عن قلبي ما سواك من العرش الى الثرى . يا حبيب قلوب العارفين ويا قرة عيون الوالحين ! فمكنت ساعة ، ثم رأيته على باب بيت اصحابي ، يناديهم ويقول لهم : يا أهل حصاري ! قوموا لطاعتي ، فانه قد ذهب الوقت . فاذا أفقت من سكري : ذهب وقت الاوراد . وقال : ثم رأيت جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصديقين قدس الله تعالى روحهم والملائكة المقربين عليهم السلام في حضرة الله تعالى ، على نعت الوله والهيجان : وهو تعالى قد ظهر هم ثم ستر دين المصطفى وكان (صلعم) على هيئة الحسن والجمال واقفاً على باب دار الجلال مثل الحاجب عند السلطان وهو كان يرى الحق ويتكلم مع الحق ، ولم يكن معه أحد في ذلك المقام . فعلمت أن ذلك هو و المقام المحمود . . ثم ظهر لي الحق بوصف الأحدية وأخذني يبطش القدرة وأذهبي الى عالم القدم ، وكنت مجذوباً مقهوراً ، حتى أدخلني في أسفار الأولية . فلما علم ضعني عن حمل اثقال طوارق التوحيد تركني ومضى . ورجعت إلى ما كنت فيه .

٣٦ - وقال : قد تعرض في في ليلة من الليالي [١٨٣ أي خيالات المرض النفسانية والشيطانية وخيالات الروحانية : وقطعت حجبها ورأيت الطايفها وتفكرت في أشكالها . فضاق صدري وخيرت في شأني حتى بدا لي جمال الحق تعالى بالبديهة فقلت : إني ! ما هذه التماثيل التي عنيت بها في المشاهدة ؟ فقال : هذا لمن يطلبني في أوائل كشوف حتى يعرفني من بينها بما لم يكن عارفاً .

قَالَ : ثُمَّ ظَهَرَ جَمَالُهُ لِي بِأَنْوَاعِ اللِّبَاسِ كُلِّهَا تَنَطُّقًا فِي الْجِهَةِ إِبْقَاءَ نَفْسِي بَعْدَ فَنَائِي فِي نِعْمَةِ الْأَزَلِ . وَسَقَانِي شَرَابَاتِ الْأُنْسِ وَالْمُدَانَاةِ ، ثُمَّ مَضَى : وَرَأَيْتُهُ مِرْآةَ الْكَوْنِ حَيْثُ تَوَجَّهْتُ وَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ : (٢ :١١٥) . ثُمَّ قُلْتُ فِي نَفْسِي : أُرِيدُ أَنْ أَرَى جَمَالَهُ بِلَا انْقِطَاعٍ! فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ : أَذْكُرُ شَأْنَ زُلَيْخَا وَيُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . فَإِنَّ زُلَيْخَا صَوَّرَتْ فِي سِتِّ جِهَاتٍ صُورَةَ نَفْسِهَا لِيُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَتَّى لَا يَرَى جَنَّةً إِلَّا وَفِيهَا صُورَةُ زُلَيْخَا . فَهٰكَذَا شَأْنُكَ فِي دَارِ جَلَالِي . فَرَأَيْتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ كُلِّ ذَرَّةٍ وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحُلُولِ وَالتَّشْبِيهِ . لٰكِنْ هُوَ سِرٌّ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا مُسْتَغْرِقٌ فِي بِحارِ التَّوْحِيدِ وَعَارِفٌ بِسِرِّ أَفْعَالِ الْقِدَمِ فِي مَقَامِ الْعِشْقِ .

قَالَ : ثُمَّ ظَهَرَ لِي بَحْرُ الْوَحْدَانِيَّةِ وَذَهَبْتُ فِي الْمَوَاجِهَا إِلَى مُشَاهَدَةِ الْكِبْرِيَاءِ . فَرَأَيْتُ جَمَالَ الْقِدَمِ بِلَا كَيْفٍ وَوَصْفٍ ، وَقَدْ تَصَاغَرَ عِنْدَ جَلَالِ عَظَمَتِهِ جَمِيعُ الْأَكْوَانِ وَالْحِدْثَانِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَثَرُهَا عِنْدَ إِشْرَاقِ سُلْطَانِ بَهَاءِ الْأَوَّلِ . وَلَوْلَا كَرَمُ اخْتَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِإِمْسَاكِ نَفْسِي عِنْدَ سَنَوَاتِ الْكِبْرِيَاءِ لَفَنِيتُ أَقَلَّ مِنْ لَمْحَةٍ . كَأَنَّهُ تَعَالَى أَرَانِي نُعُوتَ الْأَحَدِيَّةِ وَكَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى عَظِيمِ جَمَالِي وَجَلَالِي . وَذٰلِكَ لُطْفٌ مِنْهُ . ثُمَّ ظَهَرَ لِي بَعْدَ مُضِيِّ تِلْكَ الْحَالَةِ عَالَمُ الْقُدْسِ وَرَأَيْتُ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِلَا كَيْفٍ فِي سُرَادِقِ كِبْرِيَائِهِ [بَيْنَ] خَوَاصِّ [١٨٣ ب] الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى صُورَةِ الْبُزَاةِ الْبِيضِ : فَنَظَرْتُ إِلَى قُرْبِ مَوْلَانَا تَعَالَى ، تَقَدَّسَ وَكَأَنِّي عَلَى يَمِينِ الْعَرْشِ وَكُنْتُ كَشَاطِرٍ بَيْنَ الْبُزَاةِ ، وَكُنْتُ كَمُشْتَاقٍ أَطِيرُ سَاعَةً وَأَدُورُ سَاعَةً وَأَجْلِسُ سَاعَةً كَالْوَالِهِ الْمُضْطَرِبِ. فَخَاطَبَنِي الْحَقُّ جَلَّ دُنُوِّي مِنْهُ وَقَالَ بِلِسَانِ الْفَارِسِيَّةِ : چون بوزي چون رستي (2) . ثُمَّ مَضَى ذٰلِكَ الْحَالُ وَكُنْتُ فِيهِ مِنَ الْفَرَحِ أَذُوبُ مِنَ اللَّذَّةِ وَالِارْتِيَاحِ . ثُمَّ

دَارَ عَلَيَّ لَوَائِحُ الْقُـدْسِ وَأَنْـوَارُ الْبَقَـاءِ ، فَسَـمِعْتُ كَلَامَ الْحَـقِّ مِنْ مَكْمَنِ الْأَزَلِ
وَقَالَ : خَلَقْتُ الْكَـوْنَ فِي طَلَبِي وَبَلَغْتُـكَ مَقَـامَ الْقُـدْسِ ، مَنْ مِثْلُـكَ فِي الْعَـالَمِ ؟ وَأَنَـا أَطْلُبُـكَ فِي أَسْـفَلِ قَـدَمِي . وَظَهَـرَ فِي يُوصُـفِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْقُـــدْسِ وَالتَّنْزِيهِ فَاضْمَحَلَّ فِي سَطَوَاتِ عَظَمَتِهِ مَا دُونَـهُ مِنَ الْعَـرْشِ إِلَى الثَّرَى وَ شَـــاهَدْتُهُ مُشَـاهَدَةَ الْعِيَـانِ وَكَأَنَّهُ شُـهُودُ عَيْنِ الْعَظَمَـةِ، ظَهَـرَ فِي شُـهُودِ جَمَـالِ الْبَقَـــاءِ : ذٰلِكَ شَيْءٌ غَرِيبٌ .. ثُمَّ قَالَ : أَنْتَ فِي طَلَبِي وَأَنَا فِي طَلَبِكَ . لَوْ نَظَـرْتَ جَلَالَهُ عِنْدَ

(1) بَاخَاش : « وَجَمَعَ بَاز»
(2) أَيْ : « كُلَّمَا حَلَّقَ ، كُلَّمَا غَاصَ فِي الرُّؤْيَةِ» .

وَجَدْتَنِي عِنْدَكَ دُونَ قَطْعِ أَسْفَارِ الْغَيْبِ . وَكُنْتُ قَبْلَ هٰذَا الْـوَارِدِ مُتَّهَمًــــــــــــــــــا (sic)
مِنْ أَجْــلِ بَعْضِ مَقَالَــةِ أَهْــلِ مَجْلِسِــي حَيْثُ سَــمِعْتُ مِنْــهُ بَعْضَ الْفُضُــــــــــــــــولَاتِ مِنْ
أَقْـوَالِ الْمُشَـبِّهَةِ : وَقَـدْ ثَبَتَ أَنَّ كَلَامَـهُ قَـدِيمٌ وَمَـا دُونَ كَلَامِـهِ فَهُـوَ مُحْــــــــــــــــــدَثٌ .
فَقَالَ تَعَالَى : نَرَحْتُ كَلَامِي وَلَا تَخَفْ ، وَأَنَا أُزَيِّنُ بِنَفْسِـي كُلَّمَـا تَـذَكَّرَ [نِي] مَجْلِسَـكَ . وَقَـدْ رَأَيْتُـهُ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى قَـدْ بَـرَزَ وَمَعَـهُ جَمِيـعُ الْكَــــــــــرُوبِيِّينَ وَالرُّوحَــــــــــانِيِّينَ
فِي مَجْلِسِــي ، وَقَــدْ رَأَيْتُ سُـكَّانَ حَضْـرَةِ الْخَـاصِّ قَـدْ طَـافُوا فِي مَجْلِســــــــــــــــــي ، وَرَأَيْتُ
جِبْرِئِيـلَ عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ وَفِي عُنُقِـهِ سَـنَاءٌ يَسْـقِي النَّاسَ فِي مَسْــــــــــجِدِ الْجَــــــــــامِعِ
عَلَى زِيِّ شَابٍّ ، وَرَأَيْتُ كَأَنَّ السَّمٰوَاتِ جَـاءَتْ [١٨٤ أ] إِلَى مَجْلِسِـي عَلَى
صُـورَةِ الْأَشْـخَاصِ ، وَكَـذَا الْعَـرْشُ وَالْكُرْسِـيُّ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَالْحُـورُ وَالْغِلْمَــــــــــانُ وَالْوِلْــــــــــدَانُ
وَجَمِيعُ أَرْوَاحِ الْأَنْبِيَـاءِ عَلَيْهِمُ الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ وَالصِّـدِّيقِينَ وَالشُّـهَدَاءِ رَضِــــــــــــــــــيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُمْ وَقَدْ وَافَقُوا جَمِيعًا حُضُـورَ الْحَـقِّ تَعَـالَى . ثُمَّ قَـالَ الْحَـقُّ سُــــــــــــــــــبْحَانَهُ
وَتَعَالَى : هٰكَذَا أَفْعَلُ كُلَّمَا تَجْلِسُ لِلتَّذْكِيرِ

٣٧ - قَالَ : يَوْمًا إِنِّي جَلَسْتُ قَبْلَ نِصْـفِ اللَّيْـلِ عِنْـدَ ابْنِي أَحْمَـدَ وَكَــــــــــــــــــانَ
بِهِ الْحُمَّى الشَّدِيدُ، وَكَانَ قَلْبِي يَذُوبُ مِنَ الْهَمِّ. فَرَأَيْتُ الْحَقَّ سُـبْحَانَهُ وَتَعَــــــــــــــــــالَى
بِالْبَدِيهَــــــةِ عَلَى تَحْتِ الْجَلَالِ ، فَتَلَطَّفَ بِي : فَغَلَبَ عَلَيَّ الْوَجْــــــدُ وَالْهَيَجَــــــــــــــــــانُ
وَقُلْتُ : إِلٰهِي ! لِمَ تَمْتَحِنِّي وَأَنَـا أَتَوَقَّعُ مِنْـكَ الْمُوَاسَـاةَ ؟ فَقَـالَ جَـلَّ جَلَالُــــــــــــــــــهُ :
لَا تَحْــزَنْ فَانَــا لَــكَ ! وَ قُلْتُ : إِلٰهِي ! لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ مَعِي كَمَــا كَلَّمْتَ مُوسَــــــــــى عَلَيْــــــــــهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؟ فَقَـالَ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى : أَمَـا تَرْضَـى أَنَّ مَنْ أَحَبَّكَ

فَقَـــدْ
أَحَبَّنِي وَمَنْ رَآكَ فَقَدْ رَآنِي ؟ فَلَمَّا سَمِعْتُ ذٰلِـكَ غَلَبَ عَلَيَّ الْمَوَاجِيـدُ الْكَبِـــيرَةُ .
فَتَمَسْـكَنْتُ : فَنَـادَى الْحَـقُّ سُـبْحَانَهُ إِلَى بُطْنَـانِ الْغَيْبِ وَقَـالَ : يَـا شِــــــــــــــــــــــفَاءُ ! فَجَـــــــــــــــــــــــاءَ
الشِّفَاءُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ الْبَلَـدُ مَمْلُـوءًا مِنَ الْمَـرَضِ مَـا رَأَيْنَـا مِثْلَـهُ . فَنَفَخَ الشِّــــــــــــــــفَاءَ فِي الْبَلَــــــــــــــــــــــــدِ
وَانْتَشَرَ فِي الْآفَاقِ جَمِيعًا . فَتَلَطَّفَ بِابْنِي وَسَقَاهُ شَرَابًا

٣٨ - وَقَالَ : إِنَّنِي وَقَعْتُ بَيْنَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الـدَّعْوَى . فَضَـاقَ صَدْرِي لِمَا رَأَيْتُ مِنْ دَعَـاوِيهِمْ وَرُعُونَـاتِ الْبَشَـرِيَّةِ . حَشَّـنِي جَمَاعَـةٌ عَلَى رُؤْيَـــةِ
الْوَالِي ، وَكَانَ ذٰلِكَ شَدِيدًا عَلَيَّ وَصَعْبًا عَلَى نَفْسِـيَ الـدُّخُولُ عَلَيْهِمْ : فَـاهْتَمَمْتُ هَمًّا شَـدِيدًا وَنِمْتُ عَلَى ذٰلِـكَ وَكَـانَ نَـوْمِي نَـوْمَ إِتْكَـاءٍ . فَـــانْتَبَهْتُ
نِصْفَ اللَّيْـلِ ، فَخَـاطَبَنِي الْحَـقُّ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى بِقَوْلِـهِ : « يُرِيـدُونَ لِيُطْفِئُوا نُـــورَ
اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » (٨:٢١).

٣٩ - قَالَ [١٨٤ ب] الشَّيْخُ قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ الْعَزِيزَ : هٰذِهِ الْمُكَاشَفَاتُ شَأْنُ أَهْلِ النُّهَى مِنَ الْعَارِفِينَ وَوَصْفُ أَهْلِ الْحَقَـائِقِ مِنَ الْمُتَحَيِّرِينَ

الَّذِينَ قَامُوا بِالْحَقِّ بِشَرْطِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ بِأَحْكَامِ الْمُتَشَابِهَاتِ . وَهُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، (٧:٣) . وَاللَّهِ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَصِفَ بَعْضَ صِفَاتِهِ الَّتِي رَأَيْتُهَا لِلْمُرِيدِينَ وَالصَّادِقِينَ مَا قَدَرْتُ بِذٰلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى كَانَ يَظْهَرُ يُوصَفُ كِسَاءً وَأَرَى مِنْهُ آدَمَ وَأَظْهَرَ الْكَرُوبِيِّينَ وَالرُّوحَانِيِّينَ فَخَرُّوا لَهُ جَدًّا بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ . لِذٰلِكَ قَالَ النَّبِيُّ (□ صَلْعَمْ) : خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ . وَلَوْلَا مَخَافَةُ الْجُهَّالِ الَّذِينَ يَنْسِبُونَنَا إِلَى نِسْبَةِ الْغُلَاةِ لَأَشَرْتُ مِمَّا رَأَيْتُ مِنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مِنْ نُورٍ بَاهِرٍ مِسْنَاءِ قُدْسِهِ وَعَظِيمِ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ لِتَلَقَّهْ، مِمَّا كَانَ قَدْ تَلَبَّسَ بِهِ مِنَ النُّعُوتِ الَّتِي أَلْبَسَهَا آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَحْيَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمُحَمَّدًا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَكْمَلُ التَّحِيَّاتِ وَأَشْرَفُ التَّسْلِيمَاتِ. وَبِتِلْكَ النُّعُوتِ الَّتِي نُوِّرَتْ أَنْوَارُهَا مِنْهُمْ فَاقُوا عَلَى الْعَالَمِ وَالْعَالَمِينَ لِأَنَّهُ سَنَاءُ بَرْقِ صِفَاتِهِ إِذَا تَجَلَّى لِشَيْءٍ خَضَعَ لَهُ الْأَكْوَانُ وَالْحِدْثَانُ لِأَنَّهُ صَدَرَ مِنْ نَعْتِ الْأَزَلِ وَلَيْسَ هُنَاكَ الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ وَالْخَيَالُ وَالْوَهْمُ . لِأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ تَعَالَى بَعْدَ سَيْرِهِ فِي عَالَمِ الْقِدَمِ ، عَلِمَ الْعُلُومَ الْمَجْهُولَةَ الَّتِي انْكَشَفَتْ بِهَا أَسْرَارُ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَخَلَّصَتْ بِذٰلِكَ أَسْرَارُ الْوَاصِلِينَ عَنِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ وَالتَّشْبِيهِ [١٨٥ أ] وَالتَّعْطِيلِ . فَإِنَّ هٰذِهِ الْأَشْيَاءَ حَادِثَاتٌ كَوْنِيَّةٌ وَهُوَ تَعَالَى وَرَاءَ ذٰلِكَ وَقَدْ قَصَّ الْوَهْمِيَّاتِ عَنْ سَيْرِ أَرْوَاحِ الْعَارِفِينَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَارِفِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
عَلَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ
وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

تَمَّتْ (sic) الْكِتَـــابُ بِعَــــوْنِ اللَّهِ الْمَلِـــكِ الْوَهَّابِ عَنْ يَـدِ أَفْقَـرِ الْـوَرَى تُـرَابِ أَقْـدَامِ أَوْلِيَـاءِ خُلُــوصٍ دَرْوِيشِ حَسَــنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُلَقَّبِ أَبُـو الْحَسَــنِ الْخَلْـوَتِيِّ. غَفَـرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْـرِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْـــفٍ فِي شَــهْرِ شَــوَّالٍ يَـــوْمَ الْخَمِيسِ ثَمَــانٍ وَعِشْــرِينَ وَأَنَــا الْفَقِــيرُ مِنْ فُقَــرَاءِ سُــــــــــــــــــلْطَانِ الْأَوْلِيَـاءِ شَـيْخِ شَـعْبَانَ قَسْـطَمُونِيٍّ قَـدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى سِرَّهُ وَطَابَ رُوحَهُ بِرَاحَةِ وِصَالِهِ .

FIN